

الصَّبر جنة المؤمن

هيا بنت ناصر بن عبد الله الراشد

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

ح دار رسالة البيان للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراشد، هيا ناصر عبد الله

الصبر جنة المؤمن/ هيا ناصر عبد الله الراشد - الرياض،

١٤٣٤هـ، ص ١٧٢ ؛ ١٦ × ٢١ سم

ردمك: ٤ - ٩ - ٩٠٢٦٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الصبر أ. العنوان

ديوي ٢١٢,٢ ١٤٣٤/٩٢٦٤

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٩٢٦٤

ردمك: ٤ - ٩ - ٩٠٢٦٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

توزيع دار رسالة البيان للنشر والتوزيع

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨

فاكس: ٤٥٣٢١٢١


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء



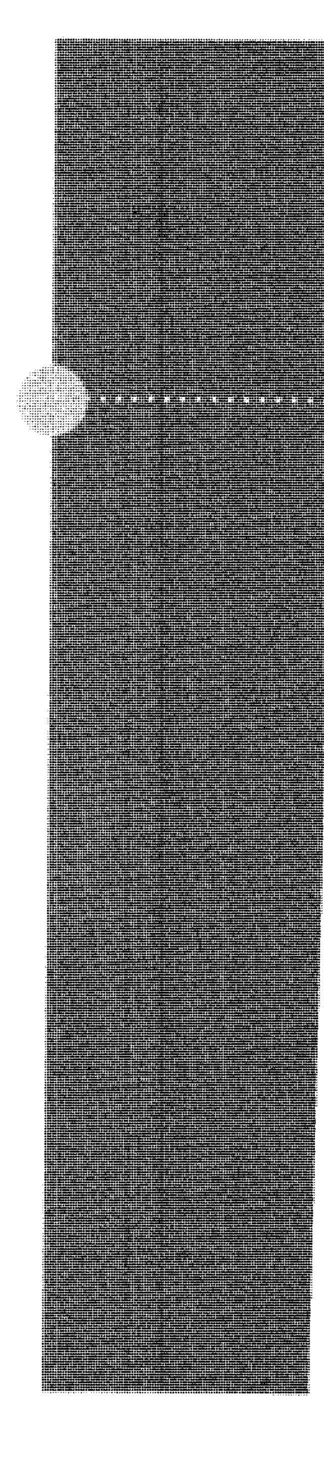
إلى أبنائي جميعاً الذين شاركوني مسيرة الحياة، وشاركوني إعداد هذا الكتاب، وأخص بالذكر منهم ابنتيّ أم راشد وأم عاصم وابني أبي طارق الذين كان لهم دور بارز في إخراج هذا الكتاب إلى النور.

إلى كلِّ من أراد السعادة في الدنيا والآخرة ... فيستمتع بشجرة الصبر ويقطف من ثمارها اليانعة الصافية...

إلى كل من أراد أن يمتلك قلباً مطمئناً ونفساً هادئةً وروحاً راضيةً بكل ما كُتب لها في الدنيا.




الفهرس



فهرس المحتويات


المقدّمة

الحمـد لله الـذي خلق فأبـدع، وأنعـم فأكرم، خلق الإنســان في أحســن تقويم، وأســبغ عليه نعمـه ظاهـرة وباطنـة، وأجـزل لـه العطايـا الوافرة، وأرســل رســلاً هداة مهتدين وبالكتب الســماوية معلمين، وأكرمهم بخصال حميدة نـادرة جعلتهـم قـادة لأقوامهـم ليعـبروا بهم الصراط المستقيم إلى جنة رب العالمين، بالصبر والحلم قادوا الأمم إلى رضوان الله رب العالمين، فصلوات الله وســلامه على رسله الكرام وعلى خــاتم المرســلين ســيدنا محمـد ﷺ وعلى الآل والصحب الكرام الميامين، أما بعد:

فقد تماثلت أمام عيني منــذ نعومة أظفاري مواقف تشمخ بها روحي تقديراً واحتراماً لمناظر الصمود والصبر وقوة الإرادة والمثابرة على الطاعات والبعد عن المعاصي والصبر في المحـن والابتلاءات. فهذا الفقير الراضي، وهذا المريض الصابر، وهذا المبتلى الشاكر، فلا يزيدهم ذلك إلا شـكراً ورضاً وصبراً وتسليماً. وقارنت بين كل موقف رأيته بأمِّ عيني، أو سـمعته من غيري، أو قرأته في صفحة من كتاب؛ بيومي الحاضر؛ فما رأيت أكثر من الاستعجال والشكوى والتذمر والتسخط، فكأن الشيطان جعل على أرواحنا وأعيننا غشـاوة، فـلا نرى نعم الله سـبحانه وتعالى علينا فنشـكره عليها. ونستعجل فلا نـتبصر بالصبر وعواقبه الحميدة.

وقـد خضت معترك الحياة فلم أجد خيراً من الصبر مفتاحـاً وناجياً، ويكفي بالصبر أنه لا ندامة معه، بل إن كل من تحلى به كان الخير له راصداً، والفلاح سـبيلاً، ولكن يا أحبتي لا تسـتعجلوا قضـاء الأمور، فمردُّ ذلك إلى الله القدير بما قضاه وقَدّره في اللوح المحفوظ، وما عند الله خير وأبقى، فالصبر جَنّة للدنيا، وقوة للإيمان،

ومفتاح للنصر، وراية للنجاح، وسـلامة للروح والجسد. والصبر جَنّة المؤمن وسـفينته التي يبحر بها إلى شاطئ الأمان بكل قوةٍ وثباتٍ. ومن شرب من معين الصبر أسس بنياناً قوياً لسعادة الدنيا والآخرة.

اصبر قليلاً وكن بالله معتصماً
لا تعجَلنّ فإنّ العَجزَ بالعَجَل
الصبر مثل اسمه في كل نائبة
لكن عواقبه أحلى من العسل

ومنذ سنوات مضت كنت أجمع وأدون ما قرأته في كتاب الله الكريم من آيات ذُكر فيها الصبر في كراسـة خاصة وأذكر رقمها واسم السورة حرصاً مني على عدم نسيانها. ومن محاسن الآيات أنني كلما قرأتها وكأنني أقرؤها من جديد، فأتشـجع للصبر أكثر فأكثر. وبدأت الفكرة في ذهني أن أعـد كتاباً ينهل القارئ منه ثمرة تجارب أُناسٍ تسـلحوا بالصبر، وتأكد في أعماقهم أن للصبر ثمراتٍ ننهل منها السـعادة في الدنيـا والآخرة. وهذه التجارب حقيقيـة واقعية، نتعلم منها كيف نسـتزيد من الصبر، ونتعامل مـع المحن التي تواجهنا بكل رضا؛ لننعم بالأجر

والمثوبة من عند الله الصبور سـبحانه وتعالى. فالصبر ليس هو الاستسلام للأمور، أو غير المبالاة في مواجهة تكاليف الحياة وأعبائها، ولكنه: (حبس النفس عن الجزع والتسخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن التشويش "لطم الخدود، وشق الثياب، والتضجر والملل")؛ لذلك أعددت هذا الكتاب وجمعت فيه آيات الصبر التي وردت في القرآن الكريم، وما صح من حديث رسول الله ﷺ. واستفدت من كتب الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - القيّمة مثل: كتاب (عِدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين) الذي يعد مرجعاً نافعاً بما احتواه. وكتاب (تهذيب مدارج السالكين " (٢٨) منزلة الصبر"). وشرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - (القول المفيد على كتاب التوحيد). واستفدت من كتب التفاسير بما حوت من معاني. وبعض القصص عن السلف - رضوان الله عليهم أجمعين - في الصبر، مبتدئة بسيرة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد ﷺ وأصحابه الميامين رضوان الله عليهم من كتاب (السيرة النبوية لابن كثير)، وكذلك كتاب (السيرة النبوية لابن هشام)، واستقيت قصص علمائنا الأجلاء من كتاب (البداية والنهاية)

للإمام الحافــظ ابن كثير. وقد انتقيت بعض الأشــعار من كتاب (جواهر الأدب في أدبيات وإنشــاء لغة العرب) لأحمد الهاشمي. وكتاب (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي. وكتاب (الأمثال) للإمام الحافظ أبي عبيد القاســم بن سلام. وقد ذكرت بعض تجاربي في الحياة وقصصاً ممن حولي الذين تحلوا بالصبر ابتغاء وجه الله تعالى ورضوانه.

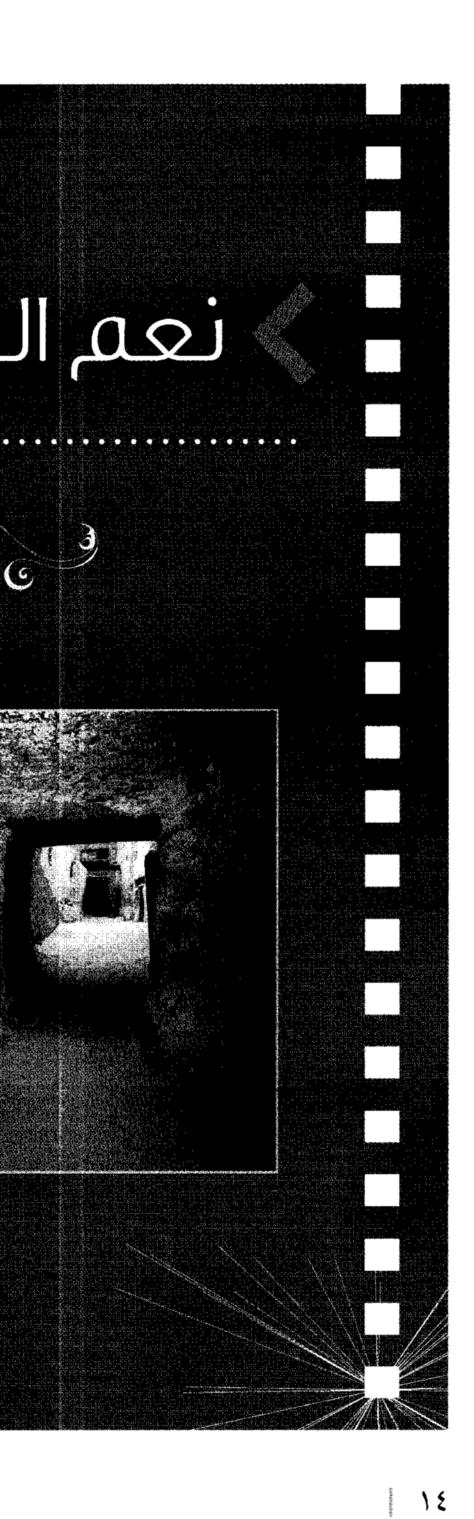
وأســأل الله العلي القدير أن يوفقني ويمدني بفضله وإحســانه وعونه وألَّا يكلني إلى نفسي طرفة عين، وأن يجعل هذا الكتاب نبراســاً يضيء لنا دروب الحياة وأن يلهمنا التوفيق والرشــاد لما يحب ويرضى. ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين وصلــى الله على خاتم الأنبياء والمرســلين محمد ســيد الأولين والآخريــن وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

أم عبدالرحمن هيا بنت ناصر بن عبد الله الراشد

haya303030@gmail.com

١٤٣٥هـ




نعم ال

ترعرعت في بيت عامر كريم، فوالدي - رحمه الله - مشهور بكرمه وحسن أخلاقه، وقد اتصف - رحمـــه الله - بخصلتين يحبهما الله ورســـوله: (الحلم والأنـــاة). ووالدتي امـــرأة فاضلة صابرة محتسبة. محافظة على أداء الصلوات في أوقاتها. صبرت في طفولتها على قسوة الآخرين معها، فقد كانت يتيمة وهي في المهـــد، وتربت بين بيت أمها وبيت عمها. تزوجت وهـــي صغيرة ومع ذلك فقد كانـــت مدبرة فاضلة، تراعي حقـــوق زوجها الذي كان مضرب المثل في الكرم والشـــجاعة، فقد كان من الرجال الذين اشتركوا مع الملك عبدالعزيز في توحيد المملكة العربية الســـعودية، وفي رحلته مع الملك لجيزان كانت والدتي حاملاً منذ أربعين يوماً، وكان الأقارب والجيران يتفقدون أحوال بعضهم لا

يأكلـــون وجارهم جائع. وعندما عاد والدي كانت والدتي قد أنجبت أخي وله من العمر ستة أشهر. كانت المواقف العصيبــة تعصف بها وهي تســتعين بالصبر بالله وفي اللــه ومع الله عز وجل متوكلة على الله تعالى في جميع أمورها؛ فمن كان مع الله كان الله معه، كما أنها كانت في آخر أيامها - رحمها الله - لم تكن تعرف أبناءها وبناتها ولكنهـــا كانت لا تنقطع عن ذكر الله، وذلك لأنها منذ أن كانـــت صغيرة وهي ذاكرة لربهـــا مداومة على صلاتها، حريصة على قيام ليلها بالصلاة ومناجاة ربها عز وجل، لذلك كثيراً ما كانت في أواخر أيامها تسبح الله وتحمده وتوحده وتســترجعه وتســأل عن أوقات الصلاة وتردد: (أبي أصلـــي). وأحمد الله وأشـــكره أن خاتمتها كانت خاتمة حسنة، كانت على ذكر الله سبحانه وتعالى، وهذا من حسن الخاتمة.

لقد غرست فيّ والدتي معنى الصبر والتصبر، وأن الله لا يضيع عنده مثقال ذرة؛ فكيف بالأجر العظيم من المولى القديـــر؟ ووالدي - رحمه الله - صبر واحتســب عندما فقد البصر، حيث أصيبت عينه بالماء الأزرق وأجريت له

عملية جراحية ولكنها لم تنجح، فَابتلي بِفَقْد بصره فدعا الله السميع البصير أن يعوضه بدلاً عنهما الجنة كما ورد في الحديث القدسي: «يقول الله عز وجل: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه [عينيه] فصبر عوضته منها الجنة)»[1].

والحمد لله كانت خاتمته حسنة، فقد أصيب بجلطة وهو عند باب المسجد يريد أن يصلي صلاة المغرب، ثم فقد الوعي، وحمل إلى المستشفى، وعندما أفاق طلب أن يصلي وبعدها فقد النطق، وعندما زرناه في المستشفى سألناه هل يرغب في أن نقرأ عليه القرآن الكريم؟. فتهلل وجهه وضغط بيده على يدي فقرأت له ما تيسر لي من سور القرآن الكريم وكذلك الآخرون قرؤوا له. فكان آخر ما سمعه في حياته كلام الله عز وجل. غفر الله له ولوالدتي وذويهم ورحمهم رحمة واسعة وجزاهم عني خير الجزاء، اللهم اجعل قبورهم فسيحة منيرة وآنسَ وحشتهم، وأظلهم يوم لا ظل إلا ظلك، وباعد بينهم وبين النار كما باعدْت بين المشرق والمغرب، وأبدل سيئاتهم حسنات، وضاعف لهم الأجر، وأدخلهم الجنة بغير حساب، واجمعنا بهم في الفردوس الأعلى، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم. اللهم

---

(١) رواه البخاري.

آمين. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء: ٦٩].

ومن الثمرات التي لامستها وحببتني في الصبر وسهلت لي التصبر والاستمتاع بالصبر قصتي عندما عين زوجي قاضياً في مدينة جيزان. وقد كنا نسكن في مكة المكرمة. وكنت حينذاك حاملاً في الشهر الثامن، ولدي طفلة عمرها أحد عشر شهراً. وأنا في السادسة عشرة من عمري، وكانت أم زوجي مقعدة لا تستطيع المشي، صبرت على المرض فقد أمضت سنتين وهي تستطيع المشي قليلاً وخمس سنوات لا تستطيع المشي وتحتاج إلى المعونة. وطلب والدي الغالي من زوجي بقائي عنده حتى أضع، ثم ينقلني أبي إليه. فرفض زوجي وأصر على بقائي معه. على الرغم من أن عيني والدي الحبيب ذرفت الدموع وقلبه تفطر ألماً رحمة بي، ولكنني فكرت في صغيرتي ورجوت المولى القدير أن يتولّنِي بحفظه ورعايته.

فارقت والديَّ وهما يتضرعان إلى المولى القدير أن يعينني ويرزقني الذرية الطيبة. كنت أقوم على خدمة أم

زوجي في جميع شؤونها مع رعاية ابنتي الصغيرة صابرةً محتسبةً ذلك عند الله عز وجل. وفاجأني المخاض ذات ليلة، وأخبرت زوجي فأســـرع لإحضار الطبيبة القابلة. وفي أثناء ذلك ذهبت إلى أم زوجي وهي على ســــريرها وأخبرتها عن المخاض فرأيت آيةً من آيات الله عز وجل أمـــام عيني، وذلك أن أم زوجي المقعدة التي تعتمد علينا في كل شـــيء بعد الله سبحانه وتعالى تقف أمامي على قدميها التي لم تتحرك منذ ســـنين. وأنا مندهشة وهي كذلك ومشـــت بقدميهـــا إلى فراش آخـــر في الأرض واستلقت عليه. ودامت شهراً كاملاً تقوم بخدمة نفسها فـــي أمورها الخاصة التي كنت أقـــوم بها ثم عادت كما كانت. وهذه آية من آيـــات الله عز وجل اعتبرتها هدية من الله لي ثمرةً لصبري واحتسابي الأجر والله أعلم.

كان عمر زوجي ســـبعة عشـــر عاماً عندما توفي والده - رحمه الله - بحادث دهـــس، وكانت أمه حاملاً، ثم رُزق بأخ ولكنه توفي وهو لم يكمل الســـنة. فصبر وتحمل وأكمل تعليمـــه، وبعد تخرجه من الجامعة عُيّن ملازماً قضائياً في مكة المكرمة ثم عُيّن قاضياً في المحكمة المستعجلة بجيزان.

وكان زوجي حريصاً على الترابط العائلي يبادر بالوصل في كل حين، وكان يحب التعلم والتعليم، ويشـــجع كل من حوله في ذلك. وكان كريماً بـــاراً بوالدته مراعياً لحقوق جيرانه يتفقد أحوال أقاربه محبوباً مِن كل مَن حوله.

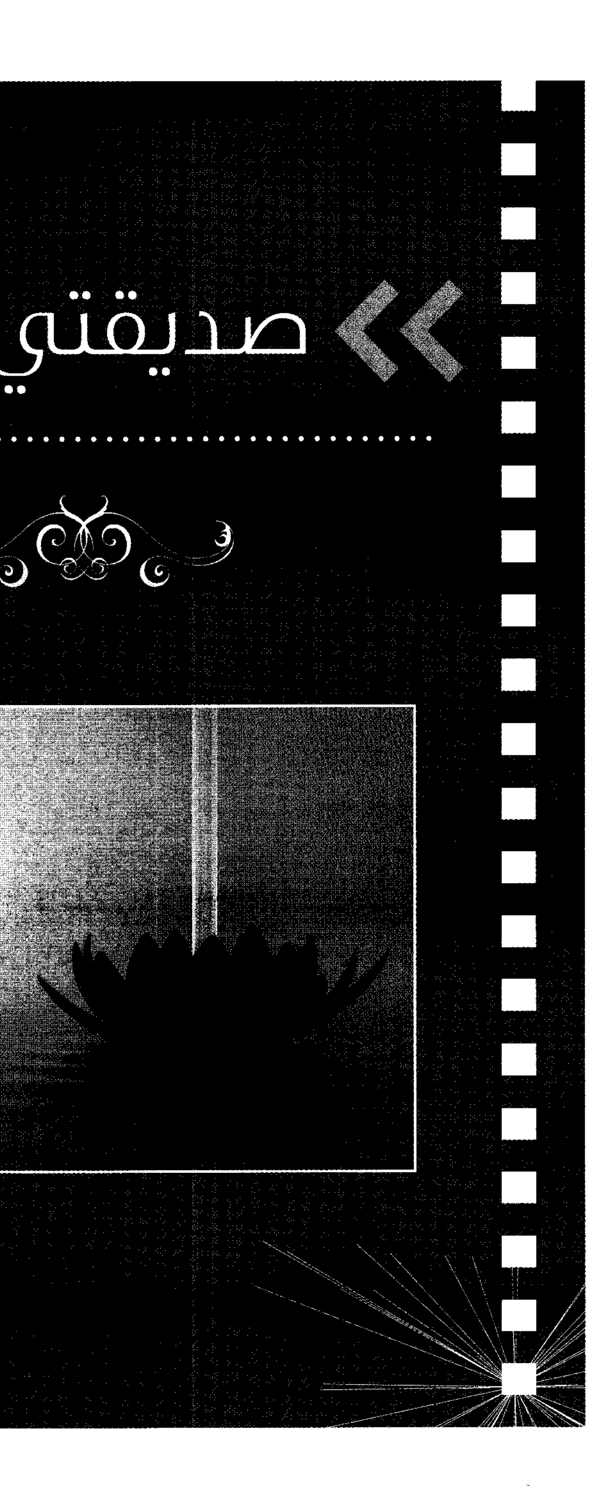
وأصيـــب هذا الزوج الطيب بجلطة في الدماغ ألزمته الفراش مدة اثنتي عشرة سنة، وكان رحمه الله في بداية مرضه بين الاستســـلام والشـــكوى فكنت أُذكِّرَه بالأجر العظيـــم للصابرين، والحمد لله أنـــه كان ذا علم وفقه، كذلك كان أبنائي يمدونني بالعون محتســـبين الأجر من الله المعين، ولازمتـــه ملازمة الأم لصغيرها، ورعيته في كل صغيرة وكبيرة مبتغية فضل المولى عز وجل في ذلك، وكثيراً مـــا كنت أطلب العون من الله ســـبحانه وتعالى، وأدعـــوه أن يرزقنـــي القوة والصحـــة والطمأنينة، وكنا ندخله المستشـــفى لإجـــراء الفحوصـــات اللازمة، وقد أدخل المستشـــفى ثلاث مرات على فتـــرات متباعدة ثم يعود إلـــى بيته وكنت ملازمةً له فـــي كل أحواله وأينما كان، وأُدخل إلى المستشـــفى آخر حياته بسبب الحرارة الشـــديدة فعُمِلت له الإجراءات اللازمة، وذات يوم صلى الفجر وتنـــاول فطوره، وهدأت حرارته مدة ســـاعة ثم

عاودته ثم هــدأت بعدها، وكان يُحادثه ابني ويقرأ عليه ما تيســر من أذكار، وبعد ذلك نــام، ثم حضر الطبيب وكشف عليه وأخبرنا أنه في أحسن حال، ولكن لاحظنا بعد صلاة الظهر ســكونه بعد أن كان يصدر منه صوت شخير بسيط، طلبنا الطبيب وبعد الكشف عليه تبين أنه توفي بهبوط في قلبه. فسبحان الله بعد عناء سنين من المرض تصعد روحه إلى بارئها دون كلفة ومشقة؛ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وهــا أناذا بفضل من الله ونعمته أعيش في بيتي بين أبنائي وذريتهم الأحبة ســائلة المولــى القدير أن يجعلنا في معيته وحفظه، وأن يتــم عليّ حفظ القرآن الكريم؛ فمنذ ســنوات وأنا أحفظ القرآن الكريم وأتلذذ بقراءته والتفكر في آياته. فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. اللهم آمين.

إنــي رأيــت وفــي الأيــام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقــلَّ مــن جــدَّ فــي شــيء يحاوله
فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر




صديقتي

منذ أكثر من أربعـــين عاماً كانت لدي صديقة تدرس في الثانوية العامة وتساعدني في مذاكرة بناتي، فأصبحت فـــرداً من أفراد العائلة، انتقلت عائلتها إلى مكة فكنت أراســـلها وكانت تراسلني، ومن ثم انقطعت أخبارها ومضت الســـنوات ولم أســـمع عنها شـــيئاً. وفي يوم من الأيـــام تبادلت الحديث مع حفيدتي عن دراســـتها في الجامعة، فشكرت لي محاضِرة فاضلة تدرس اللغة العربية، فسألتها عن اسمها،، فذكرت لي اسمها. فقلت لها: صفيها لي.. وعندما بدأت بذكر أوصافها شعرتُ أن أوصافهـــا قريبة من أوصاف صديقتي، وحتى أتأكـــد أكثر أحضرت لحفيدتي إحدى الرســـائل القديمة التي أرسَلتها إليّ صديقتي واحتفظت بها وقلت لها: أري المحاضِرةَ هذه الرســـالةَ وانظري هل تتعـــرف عليها. وعندما شـــاهدت المحاضِرة

الرسالة دهشــت دهشاً شــديداً، وقالت:- (يا ألله كم الدنيــا صغيرة!)، وتأكد لي أنهــا صديقتي ومن ثم كان التواصل بيننا.

وعندمــا حدثتني عن حياتها وجدت أنها قد جاهدت جهاداً شــديداً في سبيل أســرتها؛ فطلبت منها كتابة قصتهــا لتكون أنموذجاً للصبر، فلبَّت ندائي مشــكورة، وها أنا أضع بين أيديكم ما كتبته لي:-

"لم تكن رحلــة حياتي ثمرةً للصبــر فقط، لقد كان هناك أكثر من عامل ســاعدني فــي أن أصبح على ما أنا عليه اليوم، فأنا لا أنســى فضل التوكل على الله أولاً في كل أعمالي، ثم رضــى الوالدين الذي رافقني طوال حياتهما - رحمهمــا الله - والأصدقاء المخلصين الذين كانوا عوناً لي دائماً فــي كل مرحلة من مراحل حياتي، وأخيراً الصبــر والتصميم على الوصول على الرغم من الصعاب، والتطلــع للأفضل دائماً، وهذه قصتي: ولدت في خيمة متواضعة في مخيم بسيط في قرية (رفح) في جنوب فلسطين وهناك كانت البداية حتى الخامسة من عمري، ثم أصبح لنا منزل يتكون من غرفة واحدة وفناء

بسيط في مخيم في خان يونس المدينة الثانية صاحبة الأثر الأكبر في حياتي حيث عشت هناك أجمل أيام حياتي، وفي السادسة من عمري ذهبت مع الجارة إلى المدرسة لأسجل نفسي طالبة في الصف الأول الابتدائي - وسبب الذهاب مع الجارة كان انشغال الوالدة بأسرتنا الصغيرة المكونة من ثلاثة أولاد وبنتين - وبدأت مرحلة جديدة من رحلتي مرحلة الدراسة والاجتهاد للحصول على أعلى الدرجات وما أرى داعياً لتسجيل ما مر بي من عقبات في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة حتى انتقلت للمرحلة الثانوية ولا أزال أذكر كيف أعفيت من رسوم المرحلة الثانوية لأني متفوقة في المرحلة المتوسطة. ودرست السنتين الأولى والثانية الثانوية، وفي الصف الثالث الثانوي كان العدوان على غزة ومصر وكانت حرب (١٩٦٧م) التي غيرت أشياء كثيرة في الحياة، كما غيرت مسيرة حياتي، وبدأت مرحلة ثانية. كان والدي يعيش منذ سنوات في المملكة العربية السعودية ويأتي إلينا كلما سنحت له الظروف، وكنا نعيش في رغد من العيش فالوالد في السعودية يعمل، والوالدة بدأت تخيط الملابس للناس لتعين والدي على ظروف الحياة، ولكن وجود اليهود في

غزة قطع الطريق بيننا وبين والدنا، وأخيراً وبعد ستة أشهر استطاع الوالد أن يحصل لنا على تأشيرة دخول للمملكة العربية السعودية، وانتقلنا من غزة إلى جدة عن طريق عمان، وانتقلنا مع الوالد إلى الطائف، واجتزت الثانوية العامة في الطائف ونجحت بتفوق، ومن هنا بدأت مرحلة معونة الأصدقاء ودورهم في حياتي. بدأت بالبحث عن عمل يساعد والدي في تأمين تكاليف الحياة التي كثرت عليه مع وجود الأسرة عنده، وكان أول عمل عملته مدرّسة في البيت لأطفال أسرة كريمة، كنت أتابع بناتهم في المنزل، وكانت كبرى البنات في الصف الرابع الابتدائي تحمل الكثير من صفات والدتها وهي الهدوء والتأني والاجتهاد، وبقية البنات وهن ثلاث يتأرجحن بين الهدوء والشقاوة الجميلة، ولهن أخ صغير، أما أب تلك الأسرة فقد كان رجلاً فاضلاً كثير العلم سريع الحركة، والأم امرأة مثال للصبر والهدوء والأناة والسرعة في تلبية طلبات الأب التي لا تنتهي. كنت حديثة الإقامة في السعودية، ولا أعرف اللهجة جيداً، كنت أسمع الأب ينادي (يا بنت) ويأتيه الرد (سم طال عمرك) وأستغرب

كيف يجتمع السُمّ مع طول العمر وكيف تدعو له بالسُمّ وبطول العمر معاً ولا يغضب من هذا الكلام، ولكني مع الأيام عرفت معنى كلمة "سَمّ" هذه، وقد يكون من معانيها :- (سمعاً وطاعة) وهذا ما كنت أراه من تلك الزوجة الصابرة المطيعة، فقد كانت تصعد الدرج وتنزل منه مرات عدة، وما رأيته بعيني واستغربت منه خدمة هذه الزوجة للزوجة الجديدة التي أحضرها إلى البيت لتقيم معهم ولم أسمع منها أي تعليق.

كان عمر صديقتي قريباً من عمري. ولم تتغير علاقتها بزوجها، ولا بتلبية طلباته التي لا تنتهي، وتوطدت العلاقة بيني وبين هذه الأسرة فقد عشنا أياماً جميلة وبعد ذلك انتقلت إلى مكة المكرمة مع أسرتي للإقامة مع أخي الذي تولى أمورنا وتعاونت الأسرة كلها على متاعب الحياة، الكبير يعمل والصغير يتعلم، وكانت علاقتي بتلك الأسرة متصلة وتعرفت إلى والدة صديقتي هذه في مكة المكرمة وكنت أزورها كلما سنحت لي الفرصة ولكن فيما بعد حين، انتقلت إلى المدينة المنورة مع أسرتي انقطعت أخبارهم عني، وعملت في التعليم

الابتدائي لمدة عامين، ثم جلســـت في البيت، وهنا بدأت رعاية الله لي بالدراسة في (جامعة أم القرى/ كلية اللغة العربية) وبدأت الدراسة منتسبة حيث السنة الأولى من مكة المكرمة، ثم انتقل أخي إلى المدينة المنورة فدرســـت الســـنة الثانية من هناك، وانتقلنا في السنة الثالثة إلى جدة ومن هناك أكملت الدراســـة، بمساعدة الزميلات، وعملت في مدرسة مُدَرِّسَة لغة عربية وحاولت أن أدرس بكالوريوس في تخصص آخر وهنا ظهرت مروءة صديقة أخرى لن أنســـاها أبداً وقررت مساعدتي في الحصول على درجة الماجســـتير، حيث تكفلت لي في التســـجيل والمواصلات بين جدة ومكـــة المكرمة حتى حصلت على درجة الماجســـتير بتفوق، ونقلت عملي إلى جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وسجلت للحصول على درجة الدكتوراه، واستمرت الحياة في الأســـرة وتوليت مع أخي الأصغر تربية البنات وتعليمهن، وحصلـــت على درجة الدكتوراه وتزوجت من رجل طيب الخلق والدين، وأنا في الخامسة والثلاثين مـــن عمري، وانتقلت معه إلـــى الرياض، ولم توافق الجامعة في الرياض على تعديل درجة الدكتوراه،

وعلى الرغم من مسـؤولياتي تجاه أمي وأخواتي وزوجي وأولاده الذين انضموا إلينا للعيش معنا قررت أن أبقى على درجة المحاضر لأعيل أسرتي خاصة بعد أن ترك زوجي العمل وأصبحت أنا العائل الوحيد للأسرتين في جدة والرياض، واستمرت عجلة الحياة تدور، وقد ساهمت في تدريس عدد كبير من خريجات جامعة الملك سعود، ومنذ عام حصل لي حدث لم أكن أتوقعه ولكن الدنيا صغيرة مهما كبرت واتسعت، فقد عادت علاقتي بتلك الأسرة التي كانت بدايتي العلمية معهم في الطائف قبل ثلاثين سنة عن طريق إحدى الحفيدات لتلك السيدة الطيبة وكم سعدت بلقائهم مرة أخرى، وسعدت أكثر بما وصلت إليه البنات الصغيرات فقد تعلمن تعليماً عالياً وتزوجن وأصبح لهن أولاداً وأحفاداً، أما أخوهن فقد أصبح يحمل درجة الدكتوراه، وهو أب فاضل كأبيه، أما الأب فقد توفاه الله بعد معاناة طويلة مع المرض أقعده عن الحركة، وجلست الزوجة صابرة تخدمه حتى توفاه الله- رحمه الله-، لكن ما لفت نظري بعد العودة إلى هذه الأسرة ما يبديه البنات والأولاد من حبهم لأمهم واعترافهم بالجميل تجاهها فهي تستحق ذلك وأكثر.

وإن أكثـــر ما أرقني في الســـنة الأخيـــرة هو بلوغي الستين وخروجي من عملي وأنا لا أملك بيتاً يؤويني مع أفراد أســـرتي خاصة أنني لم أحسب حساب الزمن ولم أدخر لهذا اليوم إلا العمل الصالح - تقبله الله وضاعف لنا الأجر- ولكن عين الله لا تغفل ولا تنام فقد يســـر لي صديقة أهدت إلي قيمة البيت واشتريته، والآن أقيم في بيتي مع أسرتي، والحمد لله فقد تخرج ابني في الجامعة، وتزوجـــت ابنتي وأنجبت لي حفيدة جميلة، وأعيش الآن أياماً سعيدة لا تخلو من بعض التنغيص كما هي الحياة، ولكني لا أنســـى أبداً صديقات سخرهن لي ربي في كل مرحلة من مراحل حياتـــي، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، ومن العجائب التي لا أستطيع تغافلها في هذه الرحلة أن ثمن البيت الـــذي أصبحت أملكه يعادل أكثر من المبلغ الذي كنت سأحصل عليه لو تمت معادلة درجة الدكتوراه (أتصدقون هـــذا)؟ نعم إنه رضا الله ثم رضا الوالدين، وإن ما لم أذكره أكثر بكثير مما ذكرته في هذه الأوراق، ولكني اكتفيت بخطوط عريضة ربما توضح ما أريد قوله وهو أن الله مع الصابرين إذا صبروا، لقد كان

الصبر والإصرار على تحسين الوضع، ورضا الوالدين، والأصدقاء الصالحين؛ خير معين لي على هذه الحياة، والحمد لله." انتهى كلام صديقتي الصابرة.



الصبر قوت الحياة



وهـذه قصة أخرى لصديقة مكافحة، صبرت على مصاعب عديدة فظفرت ولله الحمد

" الحياة ألم وأمل، ونستمتع ونتلذذ بالألم لنقطف من الأمل ثماراً يانعة، وهكذا كانت حياتي تدور في فلك الآمال، مهما سرت على جسر الآلام، فبحر أيامي كان زاخراً بالأمل.

أعلل النفس بالآمال أرقبها

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل!

تدرجت حياتي من طفولتي على أن أبني آمالي على أن أكون عالمة أو باحثة وأن آخذ الشـــهادات العليا فيما ينفعني وينفع غيري، ولكن:

مــا كـل مــا يـتـمـنـى المــرء يـدركـه

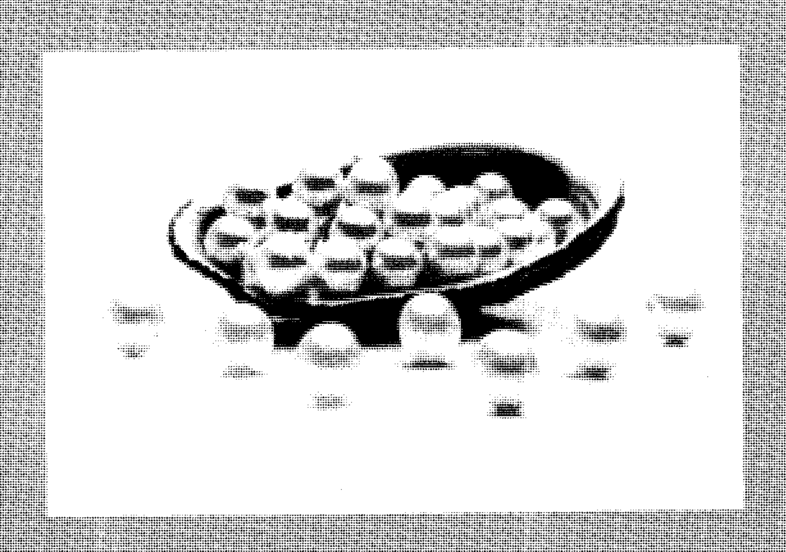
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فيصطدم مركبي بمركب الزواج مُبكّراً، والذي كان من شروطه التفرغ للبيت وترك الدراسة، وتمر الأيام وأرزق بابنـــين وأحرص عليهما ليكونا ثمـــرة أمل ويحققا مالم أحققه، ويموت أبوهما بسكتة قلبية مُفاجئة، ويثبتني الله عز وجل لأكمل هدفي في تربيتهما على الرغم من حداثة عمري، وبعد عام يموت ابني الصغير غريقاً في بركة في بيـــت أهلي، فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله، واحتســـبته صابرة وقمت بتغســـيله وتكفينه، وتذكرت بعدما أخذوه الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْـتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [**البقرة**: ١٥٣]. فصليت راجية من الله أن يكون شافعاً لي ولأهلي. وبعد موته كرست نفسي لتربية ابني الآخر وعدم الانشـــغال عنه بزواج أو عمل، ولكن لا يكون إلا ما قدر الله، وأتزوج مرةً أخرى مع شرط تربية

ابني، ولله الحمد والشـــكر والفضـــل والمنة أرزق بأولاد وبنات، ويُحققون ما لم أحققه من الشهادات العليا ولله الحمد، وأحيا حياةً سعيدة راضية بقضاء الله، فما قضى الله لمؤمن بقضاء إلا كان فيه خير. لقد جاهدت نفســـي كي أتحلى بنعمة الصبر ونعمة الشكر اللذين هما أساس السعادة والإيمان في الحياة".



وبشر الصابرين



مــن روضة الإيمان، وشــجرة اليقــين، وثمار الصابريــن وأوراق العارفين نســتقي من مناهل الخَيِّرِيــن وتجارب المؤمنين فنرســم كلمات لعلها تنفعنا في الدنيا والآخرة.

عن عمر بن ســعد - رضي الله عنه - عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجبت من قضاء الله عز وجل للمؤمن؛ إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابتــه مصيبة حمد ربه وصبر، المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيّ امرأته)[1].

ومن أعظم ما أعطي المســلم في الدنيا الصبر وهو الجسر الذي يصله إلى النجاح والفلاح، ومن يصبر يصبره الله، والصبــر مجاهدة النفس في طاعة الله وكسب رضاه وجنته، ولنا في رسول الله

(١) مسند الإمام أحمد (١٤٢٥).

ﷺ الأسوة الحسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد قامت رسالة الرسول محمد ﷺ على الصبر، ولو لم يصبر صلوات الله عليه وسلامه لما كانت دعوته وصلت إلى كل أرجاء الأرض. فأعظم الخلق ﷺ يُطرح عليه سلا الجزور وهو يصلي فصبر ولم ينتقم. روى عمرو بن ميمون، عن عبدالله قال:- ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهطٌ من قريش جلوس، وسلا جزور قريب منه. فقالوا: من يأخذ هذا السَّلا فيلقيه على ظهره؟ فقال عقبة بن أبي معيط:- أنا. فأخذه فألقاه على ظهره. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم عليك بهذا الملأ من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهم عليك بأبي بن خلف - أو أمية بن خلف -» "شُعبة الشاكُّ"، قال عبد الله: (فلقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر جميعاً ثم سحبوا إلى القَليب غير أبي، أو أمية بن خلف فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطَّع). رواه البخاري ومسلم(١).

(١) (من كتاب السيرة النبوية لابن كثير الجزء الأول، ص/ ٤٦٨).

وانظر إلى حال النبي ﷺ حين سُلِّط عليه السفهاء فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[1].

وتتابعت المصائب على رسول الله ﷺ بموت زوجته خديجة وكانت له وزير صدق على الإسلام، وبموت عمه أبو طالب عضده وحرزه في أمره ومَنَعَته وناصره على قومه وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً. عن هشام ابن عُروة بن الزبير قال: (لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب، دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: (لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك). قال: ويقول بين ذلك: (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب). كل ذلك يقابل بالرحمة. وثبت في الصحيحين

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧) ومسلم (١٧٩٣).

أن عائشة حدثت عروة بن الزبير أنها قالت لرسول الله ﷺ: هـــل أتى عليك يوم كان أشـــدّ عليك من يوم أحد؟ قال: (ما لقيت من قومك كان أشـــدّ منه يومُ العقبة، إذ عرضت نفســـي على ابن عبد يـــا ليل بن عبد كَلاَل فلم يجبني إلى مـــا أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أســـتفق إلا وأنا بقرَن الثعالب، فرفعت رأســـي فإذا أنا بســـحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: "إن الله قد سمع قولَ قومك لك ومـــا ردوا عليك، وقد بعث لـــك ملك الجبال لتأمره بما شـــئت فيهم". ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: "يـــا محمد قد بعثني الله، إن الله قد ســـمع قولَ قومك لك، وأنا ملك الجبال قـــد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"، فقال رسول اللـــه: ﷺ أرجو أن يخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله لا يشرك به شيئاً!!)[1].

كمـــا كان فرحه بمولد ابنه إبراهيم فرحاً عظيماً فلا عجب أن كان حزنه عليه شـــديداً، وقد دخل عليه وهو

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١) ومسلم (٣٣٥٨).

يجود بأنفاسه الأخيرة، فصارت عيناه تذرفـان بالدموع، فقـال عبد الرحمن بن عوف:- (وأنت يا رسـول الله!؟ فقـال: "يا بن عوف إنها رحمـة" وقال: (إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيـم لمحزونون)[1]. وقال أيضاً: (لولا أنه أمر حق ووعد صدق، وإن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزناً أشـد من هذا)[2]. ثم غسـل وكفن وصلـى عليه النبي وأصحابه ودفن بالبقيع. عن أسـامة بن زيد قال: (كان ابن لبعض بنات رسـول الله ﷺ يقضي. فأرسـلت إليه أن يأتيها. فأرسـل إليها أن (لله ما أخذ وله ما أعطى. وكل شـيء عنده إلى أجل مسمى. فلتصبر ولتحتسب). فأرسـلت إليه، فأقسـمت عليه. فقام رسـول الله ﷺ وقمت معه. ومعـه معاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وعبادة بن الصامت. فلما دخلنا ناولوا الصبي رسـول الله ﷺ، وروحه تقلقل في صدره. قال: حسـبته قال: كأنها شنة. قال: فبكى رسـول الله ﷺ. فقال له عبادة بن الصامت: ما هذا يا رسول الله؟ قال: (الرحمة التي جعلها الله في

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢٧) وأبو داود (٢٧٢٢).

(٢) سنن البيهقي.

بني آدم. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)[1]. قال أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلّد
واعلم أن الدهر غير مخلّد
أو ما ترى أن المصائب جمة
وترى المنية للعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبة
هذا قبيل لست فيه بأوحد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها
فاذكر مصابك بالنبي محمد

والصبر تندرج تحت قوته أفضل السمات، وأحلى الصفات؛ فالسماحة والحلم، والعطاء والبذل، والتفاؤل والصفح والرضى، والشكر، وحسن الخلق، وكل قول جميل، وعمل طيب ينحصر في دائرة الصبر. عن جابر ابن عبدالله أنه قال: قيل: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: "الصبر والسماحة"، قيل: أي المؤمنين أكمل إيماناً قال: "أحسنهم خلقاً". فالصبر قوة لا ضعف فيها،

(١) أخرجه البخاري (١٢١٠)

فلا صبر على ضياع حق إن قدر على أخذ الحق.. وإنما الصبر صمود وعطاء، وقوة لأخذ الحق من مكانه، وتنافس على الخيرات، ومسابقة لعمل الصالحات. كما حدّث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)(١). فالسباق السباق إلى جنان الصبر وروضة اليقين وشجرة الإيمان، فما أعطي عبد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر. عَنْ أبي سَعيد بْن مَالك بْن سنَانٍ الخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ نَاساً منَ الأنصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ فأَعْطاهُم، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفد مَا عنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حينَ أَنفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بيَده: «مَا يَكُنْ منْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يسْتعْففْ يُعفَّهُ الله وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنه اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إن الأمـور إذا استَـدَّت مَسالِكُها
فالصّبر يفرُجُ منها كل ما ارتَجَا
لا تيأسنّ وإن طالت مُطالَبَةٌ
إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٠٣٠).

ولأهمية الصبر تكرر ذكره في القرآن الكريم أكثر من نيفٍ وتسعين مرةٍ. فالمؤمن يحتاج إلى جهد ضخم في ضبط النفس، وكبح جماحها، وتوجيهها إلى الصراط المستقيم في رسالته التي كلفه الله عز وجل بها في الدنيا - عمارة الأرض وعبادته سبحانه وتعالى - وهذا هو الصبر، الذي هو خير كله، فمن نال هذا الخير نال تشريفاً من المولى - عز وجل - وظفر بالفوز والنجاة في الدنيا والآخرة:

صبراً جميلاً على ما ناب من حدث
والصبر ينفع أحياناً إذا صبروا
الصبرُ أفضل شيءٍ تستعين به
على الزمان إذا ما مسَّك الضرر

عن يزيد بن ميسرة قال: سمعت أم الدرداء تقول: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: ما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها يقول: (إن الله عز وجل يقول يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم، قال: يا رب كيف هذا

لهم ولا حلم ولا علم، قال: أعطيهم من حلمي وعلمي)[1].

عطيته إذا أعطى سرور
وإن أخذ الذي أعطى أثابا
فأي النعيمين أعدُّ فضلاً
وأحمد في عواقبها إيابا
أنِعمته التي كانت سروراً
أم الأخرى التي جلبت ثوابا
بل الأخرى وإن نزلت بكرهٍ
أحقُّ بشكرٍ من صبر احتسابا

وفي خضم مباهج الحياة وأعبائها ننسى ثمرات الصبر، ونطلب المزيد، وينعم الله سبحانه وتعالى علينا بالشفاء من الأمراض فننشغل بمشاغل الحياة فتمر علينا نعمة الصحة ونتجاوزها لمطلب آخر من مطالب الحياة، وهكذا بقية النعم تمر بنا فلا نشعر بها، لذلك قيل: (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى).

(١) التاريخ الكبير للبخاري (١٠٣٣).

ويتقلب المؤمن في مسيرة الحياة ويواجه أعباءها بين الرخاء والشـــدة، ويواجه المحن بالصبر، والنعم بالشكر، فالإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شـــكر. وحقيقة الإيمان التوكل على الله وبالصبر الذي هو المشكاة للمؤمن يسهل المسير. فبقوة توكلنا على الله عز وجل يكون مصدر الضياء من مشـــكاة الصبر أقوى. عن أبي مَالِك الْحَارِث بْن عَاصِم الأشْعريِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَان، وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلأُ الْميزانَ وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ للَّه تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّموَات وَالأَرْض، وَالصَّلاَة نورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضيَاءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاس يَغْدُو، فَبائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُهَا»[1] رواه مسلم.

تصبَّرْ ففي اللأواءِ قدْ يُحمدُ الصَّبرُ
ولولا صُروفُ الدَّهرِ لم يعرفِ الحرُّ

وإنَّ الذي أبلى هوَ العونُ فانتدِبْ
جميلَ الرِّضا يبقى لكَ الذّكرُ والأجرُ

وثقْ بالَّذي أعطى ولا تكُ جازعاً
فليسَ بحزمٍ أن يروِّعكَ الضُّرُّ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٣٣).

فلا نعمٌ تبقى ولا نقمٌ ولا
يدومُ كِلا الحالينِ عسرٌ ولا يسرُ
تقلُّبُ هذا الدَّهرِ ليسَ بدائمٍ
لديهِ معَ الأيامِ حلوٌ ولا مرُّ

وعندما تحل مصيبة على المؤمن يسترجع ويقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون). يصبر الكريم فيسترجع، وأما اللئيم فيتقلب في مصيبته، وفي آخر المطاف يفعل ما يفعله الكرام عند حلول المصيبة. قال بعض العقلاء: (العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر). وقال بعض العقلاء: (من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم). كما قيل: وأن الأمر يفضي إلى آخر فيصير آخره أولاً وقيل:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها
صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما
تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

وقيل:

تعزَّ بحسن الصبر عن كل هالك

ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم

إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة

سلوت على الأيام مثل البهائم

وليس يذود النفس عن شهواتها

من الناس إلا كل ماضي العزائم

ومع تلك العقيدة تمتلئ قلوب المسلمين الصابرين بأن الكل راجع إلى مولاه الحق، ومع تلك العقيدة تمتلئ أفئدة المؤمنين رضاً بقضاء الله وقدره ويفوزون بثلاث ثمرات:

١- أنهم عليهم صلوات من ربهم. أي: غفران من الله وثناء عليهم.

٢- أنهم عليهم رحمة من ربهم. وهي ما يكون مع المصيبة من لطف الله تعالى بهم.

٣- أنهم مهتدون إلى الحق والصواب فيما ينبغي عمله في أوقات الشدائد فلا يستحوذ الجزع على نفوسهم، ولا يذهب البلاء بالأمل من قلوبهم، فالمعية والمحبة والبشارة من الله للصابرين.

يقول الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

اصبر قليلاً فبعدَ العسر تيسير

و كـلّ أمـر لـه وقـت وتـدبـيرُ

وللمُهيمن في حالاتنا نظرٌ

وفـوقَ تـقـديـرنـا لـلـه تـقـديـر

• وهذه الأسرة الياسرية مثال في الثبات على كلمة التوحيد، وتحمل العذاب بصبر عظيم، عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سمية بنت خياط مولاة أبي حذيفة ابن المغيرة، وكان ياسر حليفاً له فزوّجه سمية فولدت له عماراً، فأعتقه، وكان بنو مخزوم يخرجون بهم إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، ويلبسونهم دروع الحديد المحماة بالنار فما وهنوا ولا استكانوا، وكان يمر بهم رسول الله ﷺ وهم يعذبون، فما يملك لهم إلا أن يحثهم على الثبات والصبر، فيقول: "صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة". ولما اشتكى عمار قائلاً: يا رسول الله بلغ منا العذاب كل مبلغ، فقال له: " اصبر أبا اليقظان، اللهم لا تعذب من آل ياسر أحداً بالنار". ومرّ أبو جهل اللعين بسمية، وهي تعذب في الله، فطعنها بحربة في ملمس

العفة منها، فماتت، فكانت أول شــهيدة في الإسلام! ثم لــم يلبث زوجها أن توفي تحت وطــأة العذاب!! ويطول العذاب بعمار حتــى كان لا يدري ما يقول، فيظهر كلمة الكفر على لســانه وقلبه مطمئن بالإيمان، ويجيء عمار وهو يبكي إلى رسول الله ﷺ فقال له: "ما وراءك؟" قال: شــر يا رسول الله، نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: "كيف وجدت قلبك ؟" قــال: "مطمئن بالإيمان"، فجعل النبي يمســح عينيه بيده، ويقول له: "إن عادوا لك فعُد لهم بما قلت"!! ولهج بعض الناس بأن عماراً كفر، ولكن رســول الله الذي لا ينطق عن الهوى صدع بالحق فقال: "كلا، إن عماراً مليء إيماناً من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه، واختلط الإيمان بلحمــه ودمه"!! ثم ينزل الوحي بشهادة السماء على صدق إيمان عمار، قال تعالى: **﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَــنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَــرَحَ بِالْكُفْرِ صَــدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُــمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [**النحل**: ١٠٦].

بنى الله للأخيار بيتاً سماؤه

همومٌ وأحــزانٌ وحيطانُه الضر

وأدخلهم فيه وأغلَق بابه

وقال لهم مِفتاح بابِكم الصّبرُ

• ومن المعذبات في الله، اللائي أظهرن صبراً وتجلداً، وبطولة: (زِنِّيرة الرومية) أمة عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - أسلمت قبله، فكان يضربها حتى يفتر، ويشاركه في ضربها أبو جهل، فلا يزيدها ذلك إلا إصراراً على الإسلام، ولما أسلمت أصيب بصرها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزّى، فقالت: كذبوا ما تضر اللات والعزّى، وما تنفعان، ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يرد علي بصري!! فرد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد. وكان أبو جهل يقول: (ألا تعجبون إلى هؤلاء وأتباعهم، لو كان ما أتى محمد خيراً وحقاً ما سبقونا إليه، أفتسبقنا زنيرة إلى رشد!!)[1].

• وقد كان لآل بيت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم - تضحيات ومفاخر خالدة في سبيل الهجرة كان ابنه عبد الله يبيت بالغار فيدلج من عند رسول الله

(١) (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، الجزء الأول، ص ٣٤٤).

ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكيدون به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة. وبذلك كان عامر يعفي على آثار عبد الله فلا يتفطن أحد إليه، ولا يستدل بآثاره على المهاجرين الكريمين[1]. قالت أسماء رضي الله عنها: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فقلت: لا أدري والله أين أبي؟ فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً- فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي!!.

وروى ابن اسحق بسنده عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - قالت: لما خرج رسول الله

(١) (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، الجزء الأول، ص٤٨٣- ٤٨٤).

ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل ماله كله معه، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه، فدخل جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لا أراه إلا قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا، فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، وإذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك[1].

واشتركت أسماء وعائشة ابنتا الصديق - رضي الله عنهما - في تجهيز السفرة التي سيأخذها المهاجران ووضعتاها في جراب فلما أرادتا ربط فم الجراب لم تجدا شيئاً، فشقت السيدة أسماء نطاقها نصفين فربطت فم الجراب بنصفه وانتطقت بالآخر، فلذلك سميت ذات النطاقين[2].

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، الجزء الأول، ص ٤٨٢- ٤٨٣.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، الجزء الأول، ص ٤٧٤- ٤٧٥

وهاجرت أسماء هي وزوجها الزبير حواري رسول الله ﷺ وهي حامل متم بولدهـــا عبدالله فوضعته بقبا أول مقدمهم المدينة ثم أتت به رســـول الله ﷺ فوضعته في حجــره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول ما دخل في جوفه ريق رســـول الله ﷺ ثم حنكه ودعا له بالبركة فكان أول مولود في الإسلام. وقد روي من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم رسول الله ﷺ: (كان النبي ﷺ قد احتجم في طســـت. فأعطاه عبدالله بن الزبير ليريقه فشربه، فقال: لا تمسك النار إلا تحلة القســـم، وويـل لك مـن الناس وويـــل للنـــاس منـــك)[1]. وقـــد روي عن عروة أن عائشـــة لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر مثل حبها ابن الزبير، قال: (وما رأيت أبي وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لابن الزبير).

ومن أولاد أسماء: (عبدالله وعروة ومصعب والمنذر). وهي أكبـــر من أختهـــا عائشة بعشـــر سنـــين. صبـــرت - رضي الله عنها - في خدمة زوجها الزبير. وقد عمرت

(١) حلية الأولياء (١١٩٩).

أسماء دهراً صالحاً وبلغت مئة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل. وقد روت أحاديث عدة طيبة مباركة - رضي الله عنها -. عاشــت مــع ابنها عبدالله، الذي تولــى الخلافة، وكانت ولاية ابن الزبير في ســنة أربع وســتين، وحج بالناس فيها كلها، وبنى الكعبة وكســاها الحرير، وكان ابن الزبيــر عالماً عابداً مهيباً وقوراً كثير الصيام والصلاة شــديد الخشوع جيد السياسة. ولكن مروان بن الحكم عارضه في ذلك وأخذ الشــام ومصر من نواب ابن الزبير، ثم جهز السرايا إلى العراق، ومات وتولى بعده عبدالملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير بالعــراق وأخذها، ثم بعث إلى الحجــاج، فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر حتى ظفر به في يوم الثلاثاء ســابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، قيل: إن الحجاج نصب المنجنيق على أبي قبيس ليرمي به المسجد الحرام، وإنه أمَّن من خرج إليه من أهل مكة ونادى فيهم بذلك وقال: إنا لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير، وأنه خير ابن الزبير بين ثلاث إما أن يذهب في الأرض حيث شــاء، أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد،

أو يقاتل حتى يقتل. فشـــاور أمه فأشارت عليه بالثالث فقط، فقاتل قتالاً شـــديداً فجاءته آجرة ففلقت رأسه فســـقط على وجهه إلى الأرض ثـــم أراد أن ينهض فلم يقدر، فاتكأ على مرفقه الأيســـر وجعل يحدم بالسيف من جاءه، فأقبل إليه رجل من أهل الشام فضربه فقطع رجلـــه، ثم تكاثروا عليه حتى قتلوه واحتزوا رأســـه، ثم صلبه الحجاج منتكســـاً على ثنية كـــدا عند الحجون. فمات وقد جاوز السبعين من عمره رحمه الله. وقيل إن الحجاج دخل على أمه أسماء بعد أن قتل ابنها فقال: يا أماه إن أميـــر المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة؟ فقالت: لســـت لك بأم إنما أنا أم المصلوب على الثنية، وما لي من حاجة ولكن أحدثك أني ســـمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج من ثقيف كذاب ومبير) فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أراك إلا إياه. فقال: أنا مبير المنافقـــين. وقد روي أنها قالت للحجـــاج: أما آن لهذا الفارس المصلـــوب أن يترجل؟. وقيل: إن ابن عمر دخل معـــه عليها وابنها مصلوب فقال لها: إن هذا الجســـد ليس بشيء، وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري،

فقالـــت: وما يمنعني من الصبر. وقد أهدي رأس يحيى ابن زكريا إلى بغي من بغايا بني إســـرائيل؟. وقيل إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلت عليه ثم دفنته، ثم ماتت بعده بأيام في آخر جمادى الآخرة[1].

يا أسمَ صبراً على ما كان من حدث

إن الحــوادث ملـقـيٌّ ومنـتـظـرُ[2]

• وفـــي قصة عروة بن الزبير يتمثل الصبر بكل قواه، لما قدم عروة على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد ابـــن عروة، فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فخرَّ وحُمـــل ميتاً، ووقعت في رجل عروة الآكلة، ولم يدع تلك الليلـــة ورده، فقال له الوليد: اقطعهـــا، قال: لا، فترقَّتْ إلى ســـاقه، فقال له الوليد: اقطعها وإلا أفسدت عليك جســـدك، فقطعت بالمنشار، وهو شيخ كبير، فلم يمسكه أحد، وقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، وقال أيضاً: (اللهم إنه كان لي أطراف أربعة، فأخذت واحداً وأبقيت

---

(١) بتصرف من كتاب البداية والنهاية، لأبو الفداء الحافظ ابن كثير، المجلد الرابع، ٧-٨، ص٢٥٠ -٣٣٢- ٢٤٦.

(٢) التبصرة والتذكرة، لأبي محمد عبدالله بن علي بن اسحاق الصيمري، الجزء الأول، ص ٦٩.

لـــي ثلاثة، فلك الحمد، وايمُ الله لئن أخذت لقد أبقيت، ولئـــن أبليت طالماً عافيت). وقال أيضاً: (اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى حرام قط أو إلى ســـوء قط). هذا هـــو عروة بن الزبير بن العوام الإمـــام عالم المدينة، أبو عبدالله القرشـــي الأسدي المدني، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -. ولد في آخر خلافة عمر ســـنة ٢٣هـ، تفقه بفقه أم المؤمنين عائشة - رضي اللـــه عنها -، وكان يدخل عليها كثيـــراً، قال قبيصة بن ذؤيـــب: (كان عروة يغلبنا بدخوله على عائشـــة، وكانت عائشـــة أعلم الناس، وكان عروة أعلـــم الناس بحديث عائشـــة)، وقال: (كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً ثبتاً مأموناً). كان شـــديد الحرص على نشـــر السنة النبوية الشريفة حتى بلغ به الحرص أنه كان يتألف طلاب العلم بالمال ليتلقوا الحديث عنه.

حمل عروة عن عائشـــة - رضي اللـــه عنها - كثيراً من شـــمائلها فقد تأثر بجودها وســـخائها فكان كريماً جواداً ســـخياً، إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه فيجعل

في جـــداره فجوة، ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون ويحملون، وكان إذا دخل بســـتانه ردد هذه الآية ﴿ **وَلَوْلا إِذْ دَخَلْـتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَـاءَ اللَّـهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَـرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَـدًا** ﴾ [**الكهف** : ٣٩]. وكذلك تأثر بعبادة خالته فــكان كثير العبادة يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف ويقـــوم به ليله، وما تركـــه إلا ليلة قطعت رجله ثم عاود حزبـــه من الليلـــة المقبلة، وكان – رحمــــه الله – يوصي أهلـــه بالصلاة ويقول: (إذا رأى أحدكم شـــيئاً من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله وليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها)، وكان يصوم الدهـــر ومات صائماً. واتخذ عروة لنفســـه بيتاً خارج المدينة في العقيق وسكن فيه، وسبب ذلك يحكيـــه عبدالله بن علي بن أبي طالب فيقول: كان علي بن حســـين بن علي بن أبي طالـــب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخر مســـجد رسول الله ﷺ بعد العشـــاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدثنا ليلةً، فذُكر جَوْرٌ من جار من بنـــي أمية، والمقام معهم وهم لا يستطيعون تغيير ذلك، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم، فقال عروة لعلي: يا علي إن من اعتزل أهل الجور، والله يعلم سُخطه لأعمالهم، فإن كان منهم على ميل، ثم

أصابتهم عقوبة الله، رجي له أن يسلم مما أصابهم، قال فخرج عروة فسكن العقيق. شُغف - رحمه الله - منذ صغره بالعلم، وتمنى أن يحمل عنه العلم، فحقق الله له أمنيته، اجتمع يوماً في الحجر مصعب بن الزبير وعروة ابن الزبير وعبد الله بن الزبير وعبدالله بن عمر، فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أما أنا فأتمنى المغفرة، فنالوا كلهم ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر له. توفي - رضي الله عنه - سنة أربع وتسعين ودفن يوم الجمعة، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها[1].

أتاك الروح والفرج القريب
وساعدك القضاء فلا تخيب
صبرت فنلت عقبى كل خير
كذاك لكل مصطبر عقيب

---

(١) بتصرف من كتاب أعلام المسلمين السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، عبدالحميد محمود طهماز.

ينزل البلاء بالإنسان فيزلزل كيانه؛ فالصابر يثمر تحمله للبلاء، فهو في أمان من هذه البلايا ثقة منه بالله سبحانه وتعالى، وواسع رحمته. وليس هناك سبيل إلا الصبر الذي بشر به الله عز وجل عباده الصابرين بشارة من الذي لا تنفد خزائنه. عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه) الحديث. وفيه (حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة)[1].

على قدر فضل المرء تأتي خطُوبه
ويُحمدُ منه الصّبر مما يُصيبه
فمن قلّ فيما يتقيه اصطباره
لقد قلّ فيما يرتجيه نصيبه

• رحم الله علماءنا الأجلاء فقد صبروا في تلقي العلم، وفي تبليغه وفي الفتن والمحن التي واجهتهم، وثبتوا على الحق، فهذا الإمام أحمد بن حنبل العالم الفقيه المحدث قد صمد في محنة القول بخلق القرآن (استحوذ على

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١١٠).

الخليفة المأمـــون جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينـــوا له القول بخلق القرآن، ونفي الصفات عن الله عز وجل). واتفق خروجه إلى طرسوس لغزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن ابراهيم بن مصعب يأمـــره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، واتفق له ذلك قبل موته بشـــهور من ســـنة ثماني عشرة ومائتين. فلما وصل الكتاب اســـتدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا، فتهددهم بالضرب وقطـــع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين، واســـتمر على الامتناع من ذلك الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجنديســـابوري، فحملا على بعير وسيرا إلى الخليفة عن أمره بذلك، وهما مقيدان متعادلان في محمل واحد على بعير واحد، فلما كانـــا ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر، فســـلم علـــى الإمام أحمـــد وقال له: يا هذا إنـــك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى مـــا يدعونك إليه فيجيبوا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه،

فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل، وإنك إن تقتل تمت شهيداً، وإن عشت عشت حميداً. وقال الإمام أحمد: كان كلامه مما قوَّى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه. فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحلة جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول: يعز عليَّ يا أبا عبدالله إن المأمون قد سل سيفاً لم يسله من قبل ذلك، وإنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلك بذلك السيف. قال: فجثا الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال: سيدي غرَّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته. وجعل الإمام أحمد يدعو الله عز وجل ألَّا يجمع بينهما وبين المأمون، وألَّا يرياه ولا يراهما. فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل. قال أحمد: ففرحنا، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة، وقد انضم إليه أحمد بن أبي داؤد، وإن الأمر شديد، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى، ونالني منهم أذى كثير

وكان في رجليه القيود، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليـــه أحمد، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلهــا في رمضان فأودع في الســـجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم. وقد كان أحمد وهو في الســجن هـــو الذي يصلي في أهل السجن والقيود في رجليه. لما أحضره المعتصم من الســـجن زاد في قيوده. وناظره المعتصم ثلاثة أيام ثم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر، قال أحمد بن حنبل: فأمر بي فقمت بين العقابين وجيء بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشـــبتين فلم أفهم، فتخلعت يداي، وجيّء بالضرابين ومعهم السياط فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له المعتصم: شـــد قطع الله يديك، ويجيء الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك فضربوني أسواطاً فأغمى علي وذهب عقلي مراراً، فإذا سكن الضرب يعود عليَّ عقلي، وقـــام المعتصم إلي يدعوني إلى قولهم فلم أجبه، وجعلوا يقولون: ويحك! الخليفة على رأســـك، فلم أقبل وأعادوا الضـــرب ثم عاد إليّ فلم أجبه، فأعادوا الضرب ثم جاء

إليّ الثالثة، فدعاني فلم أعقل ما قال من شـــدة الضرب ثم أعـــادوا الضرب فذهب عقلي فلـــم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمري وأمر بي فأطلقت ولم أشـــعر إلا وأنا في حجرة مـــن بيت، وقد أطلقت القيود من رجلي، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشـــرين من رمضان من سنة إحدى وعشـــرين ومئتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً، وقيل ثمانين ســـوطاً. وقد كان الإمام أحمد رجلاً طوالاً رقيقاً أســـمر اللون كثير التواضع - رحمه الله -. ولما رجع إلى منزله جاءه الجرايحي فقطع لحماً ميتاً من جسده وجعل يداويه والنائب في كل وقت يســـأل عنه والنائب يستعلم خبره، فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك. وعندما تولـــى المتوكل الخلافة أحب أن يأنـــس بقرب أحمد بن حنبل وبالنظر إليه ويحصل على بركة دعائه، فسار إليه الإمـــام وهو عليل في بنيه وبعض أهله وأجزل له العطاء لكن الإمام كان زاهداً فلم يكن يأكل من ألوان الطعام؛ بل كان صائماً يطوي، ولما استمر ضعفه جعل المتوكل يبعث إليه بابن ماسويه المتطبب لينظر في مرضه، فرجع إليه

فقال: يا أميـــر المؤمنين إن أحمد ليس به علة في بدنه، وإنما علته من قلة الطعام، وكثرة الصيام والعبادة. فسكت المتوكل ثم ســـألت أم الخليفة منه أن ترى الإمام أحمد، فبعث المتوكل إليه يســـأله أن يجتمع بابنه المعتز ويدعو له، وليكن في حجره. فتمنع من ذلك ثم أجاب إليه رجاء أن يعجل برجوعـــه إلى أهله ببغداد. وبعث الخليفة إليه بخلعة سنية، ومركوب من مراكبه، فامتنع من ركوبه لأنه عليه ميثرة نمور، فجيء ببغل لبعض التجار فركبه وجاء إلى مجلس المعتز، وقد جلس الخليفة وأمه في ناحية في ذلك المجلس، من وراء ســـتر رقيق. فلما جاء أحمد قال: ســـلام عليكم. وجلس ولم يسلم عليه بالإمرة، فقالت أم الخليفـــة: الله الله يا بني في هذا الرجل ترده إلى أهله، فإن هذا ليس ممن يريد مـــا أنتم فيه. ثم بعد أيام أذن له الخليفة بالانصراف إلى بغداد. وكان ابن حنبل يقول: سلمت منهم طول عمري ثم ابتليت بهم في آخره. مرض الإمام في أول شـــهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين، وكتب الإمام وصيته ثم اســـتدعى بالصبيان من ورثتـــه فجعل يدعو لهم، وكان قد ولد له صبي قبل موته

بخمسين يوماً فسماه سـعيداً، وأحسن ما كان من أمره أنه أشـار على أهله أن يوضئوه. توفي - رحمه الله -. وقد كانت وفاته في يوم الجمعة ودفن بعد صلاة العصر وذلك لكثرة الخلق. وقيل: (أسلم يوم مات أحمد عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس)[1].

رحم الله علماءنا الأجـلاء، فما هذا البلاء إلا دليلاً علـى مكانتهم عند الله عز وجـل، فبالصبر يعلو العبد بدرجته، قال إبراهيم بن مهدي السّـلمي، عن أبيه، عن جده، وكانت له صحبة من رسـول اللّه ﷺ قال: سمعت رسـول اللّه ﷺ يقول: "إنَّ العبد إذا سـبقت له من اللّه منزلةٌ لم يبلغها بعمله ابتلاه اللّه في جسده، أو في ماله، أو في ولده"[2] قال أبو داود: زاد ابن نفيل "ثمَّ صبره على ذلك" ثم اتفقا "حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من اللّه تعالـى". وقال عز وجل: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [**السجدة**: ٢٤].

أما والـذي لا يعلم الغيب غيره

ومـن ليس في كل الأمـور لـه كفو

---

(١) (ص ٣٣٢- ٣٣٥- ٣٣٨ - ٣٣٩ -٣٤٠- ٣٤١- ٣٤٢- بتصرف من كتاب البداية والنهاية لأبو الفداء الحافظ ابن كثير، ٥/ ٩-١٠).

(٢) شعب الأيمان للبيهقي (٩٢٠١).

لئن كان بدء الصبر مراً مذاقه

لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

• ولنا في قصة أمنا هاجر - عليها السلام - المثل الأعلى في الصبر بالله ولله ومع الله، فعندما ولد لها إسماعيل اشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها، فذهب بها وبولدها، فسار بهما حتى وضعها حيث مكة اليوم، ويقال إن ولدها كان إذ ذاك رضيعاً، فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما، قامت إليه هاجر، وتعلقت بثيابه، وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفينا؟ فلم يجبها، فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها، قالت له: آلله أمرك بهذا؟. قال: نعم، قالت: فإذاً لا يضيعنا[1].

فما شدة يوماً وإن جَلَّ خطُبها

بنازلة إلا سيتبعها يسرُ

وإن عسُرت يوماً على المرء حاجةٌ

وضاقت عليه كان مفتاحَها الصبرُ

(١) من كتاب البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٧٨).

• وكم تأثَّرتُ بصبر آسيا امرأة فرعون وماشطة ابنة فرعون. ورد في تفسير ابن كثير: عن أبي العالية قال: (كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله! فقالت لها بنت فرعون: ولك رب غير أبي؟ قالت: ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله، فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها، فأرسل فرعون إليها فقال: أتعبدين رباً غيري؟ قالت: نعم ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات، فكانت كذلك، فأتى عليها يوماً فقال لها: ما أنت منتهية ؟ فقالت له: ربي وربك ورب كل شيء الله. فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي فقالت له: اقض ما أنت قاض، فذبح ابنها في فيها، وإن روح ابنها بشرها فقال لها: أبشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها، فبشرها روحه أيضاً وقال لها: اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب

كذا وكذا، قال: وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر، فآمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون، وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت، فازدادت إيماناً ويقيناً وتصديقاً فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ: ما تعلمون من آسيا بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبد غيري، فقالوا له: اقتلها، فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها فدعت آسيا ربها فقالت: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها في الجنة - رضي الله عنها -.

تصبّر أيها العبدُ اللّبيب
لعلّك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات إذا تناهت
يكون وراءَها فرَجٌ قريب

تواجهنا الابتلاءات والمحن ننظر إلى النتائج التي تترتب على عدم الصبر. فصبر ساعة يورث راحة العمر،

وإفـــراط غضب يورث ندم الحياة، وهـــدم ما بناه المرء في ســـنين العمر. والصبر الجميل هو التبصر بعواقب الأمـــور، وهو ضبط النفس عـــن هواها، وعدم الاندفاع وراء الشهوات، وهو الثقة بحصول الفرج من عند المعين ســـبحانه وتعالى. وعلى المرء أن يتذكر أموراً عدة تعينه على الصبر منها:

١ - أنْ يؤمن بالقضـــاء والقدر، وأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن مـــا أخطأه لم يكن ليصيبه. إذا عرف هذا وأيقن؛ انشرح صدره ورضي بما وقع له.

٢- أن هـــذا الرضا منه هو فـــي مقابل ما وعد الله سبحانه وتعالى به الصابرين من عظيم الأجر والبشارة ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [**البقرة**: ١٥٥].

٣- أن يعلم أن هناك من هو أشد منه بلاءً.

٤ - أن يوقن بأن ليس له من الأمر شيء ولا يمكن لـــه دفع المصيبة أو الألم؛ لأنها قضاءٌ مقضيٌّ، وأن المؤمن يسعه الصبر.

٥- أن التســـخط وعدم الرضـــا لا يقدم في الأمر شيئاً بل يزيده هماً وغماً.

٦- أن يستشعر حال كثير من الأنبياء والأصفياء الذين قد وقع عليهم شدة البلاء وكيف صبروا؛ لأنهم القدوة وليس أحد أفضل منهم.

٧- أنّ قوة العزيمة والاحتمال من معالي الأمور وليس من سوافلها.

٨- أنّ مع الصبر ظفراً، ومع العسر يسراً.

٩- أن الله يغير من حال إلى حال. ولن يدوم عسر أو يستمر سرور؛ بل هي الدنيا كما وصفها الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٠].

والصبر سلاح المؤمن يتقلده في أموره كلها، ففي معاملاتنا مع من حولنا لا بد لنا من الصبر، فالصبر مع الأقارب محمود. إذا جرحت مساويهم فؤادي صبرتُ على الإساءة وانطويت وجئتُ إليهم طلقَ المحيا كأني لا سمعتُ ولا رأيت.

وفي علاقة الأزواج مع بعض لا بد من الحلم والصبر، وكل ذلك يؤجرون عليه من لدن المولى سبحانه وتعالى. عن عمر بن سعد - رضي الله عنه - عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجبت من قضاء الله عز وجل للمؤمن؛ إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر، المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيّ امرأته).

أما الجار الذي أوصى به الله عز وجل في كتابه الكريم فلا أفضل ولا أحسن من معاملته بالكرم والصبر، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال: "اذهب فاصبر" فأتاه مرتين أو ثلاثاً فقال: "اذهب فاطرح متاعك في الطريق" فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل اللّه به، وفعل، وفعل، فجاءه إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى منّي شيئاً تكرهه.

والذرية إنما هي عطاء من لدن الوهاب، قال سبحانه وتعالى في محكم قرآنه: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴿٤٩﴾ **أَوْ**

﴿يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. قال عقبة بن عامر الجهني- رضي الله عنه -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن فأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كنَّ له حجاباً من النار).

وفي طلب الرزق فإن الصبر فضيلة ننال به ما قسمه الله المنعم المتفضل لنا، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من يتصبر يصبره الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله، وما أجد لكم رزقاً أوسع من الصبر)[1].

اصبر على مضض الإدلاج في السّحر
وفي الرّواح إلى الحاجات والبكر
إني رأيت وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جدّ في أمر يطالبه
فاستصحب الصّبر إلا فاز بالظفر

(١) أخرجه البخاري(١٣٨٢).

أما قضاء الله لنا في مصيبة الموت فلا ينفع معها إلا الصبر والاحتساب، عن أنس قال: أتى نبي اللّه ﷺ على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: "اتّقي اللّه واصبري" فقالت: (وما تبالي أنت بمصيبتي؟) فقيل لها: "هذا النبي ﷺ" فأتته، فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: (يا رسول اللّه لم أعرفك)، فقال:- "إنّما الصبر عند الصدمة الأولى" أو "عند أول صدمةٍ"[1].

وما أحسن ما صور الشاعر حال المُعَزِّي والمُعَزَّى والمُعَزَّى فيه إذ قال:

يعزِّي المعزي ثم يمضي لشأنه
ويبقى المعزّي في أحر من الجمر
ويرمي المعزي بعد ذاك بسلوة
ويثوي المعزي عنه في وحشة القبر

فلا نجزع ولا نتسخط ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل (إنا لله وإنا إليه راجعون).

نبئت خولة أمس قد جزعت
من أن تنوب نوائب الدهر

(١) سنن أبي داود (٣١٢٤).

لا تجزعي يا خول واصبري

إن الكرام بُنوا على الصبر

تدمع العين ويحزن القلب ولا يمنع ذلك أن نتمالكها فلكل شيء ميزان حتى الأحزان لها مقدار.

صبرت فكان الصبر خير مغبة

وهل جزع يجدي عليَّ فأجزع

ملكت دموع العين حتى رددتها

إلى ناظري فالعين في القلب تدمع

نتصبر ونتعامل مع الحياة بيقين تام بأن المدبر هو الله عز وجل، ونتعظ ونتمثل بأوامر الله سبحانه وتعالى، ونقتفي أثر رسوله محمد ﷺ حتى نلقاه ﷺ على الحوض. عن أسيد بن حضير قال: قال رسول الله ﷺ: "إنكم سترون بعدي أَثَرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[1].

وفي خوض خضم الحياة لا نجد أفضل من الصبر حليةً نتحلى بها، فتزهو أنفسنا بالخصال الفاضلة. وتمتلئ حكمة وحنكة.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٣) ومسلم (٣٤٣٨).

الـدّهـر أدّبـنـي و الـصّـبـر ربّـانـي
والـقـوت أقـنعني والـيـأس أغـنـاني
وحـنـكـتـنـي مـن الأيّـــام تجـربـةٌ
حتى نـهيتُ الذي قد كان ينهاني

والصبـــر خير معين فيما يصـــادف المؤمن من نوائب الزمان.

إنــي رأيـت الـصّـبـر خـيـر معـوّل
فـي الـنـائـبـات لمن أراد مـعـوّلا
ورأيـــت أسـبـاب الـقـنـاعـة أكـدت
بعُرى الغِنى فجعلتها لي مَعقِلا
فــإذا نــبـا بــي مـنـزلٌ جـاوَزتُـه
وجـعـلـت مـنـه غـيـره لـي مـنـزِلا
وإذا غـلا شـيء عـلـيّ تـركـتـه
فـيكون أرخـص مـا يـكون إذا غلا

ولا ينفع مع الأصحاب أيضاً إلا الصبر.

صبرت ومن يصبرْ يجد غِبَّ صبره
ألذ وأحلى من جنى النحل في الفم

ومن لا يطب نفساً ويستبق صاحباً

ويغفر لأهل الود يُضْرَمْ وَ يَصْرِمِ

وذُكر في الأمثال: (الصبر عند الصدمة الأولى. الصبر مفتاح الفرج، والشجاعة صبر ساعة. ومن اتَّبع الصبر اتَّبعه النصر. ومن صبر ظفر. وحيلة من لا حيلة له الصبر). وقيل: إنَّهُ لأَصْبَرُ من ذِي الضَّاغِطِ. وهو البعير الذي قد حزَّ مرفقه جنبه. ويقال أيضاً:

أَصْبَرُ من عَوْدٍ بِدَفيَّه الجُلَبْ

قَد أَثَّرَ البِطَانُ فِيهِ والحقَب

والدفان: الجنبان، والجلب: آثار الدبر، والعود: المسن من الإبل.

وما أحسن ما يتخلق المؤمن بالصبر إذا أصابه الغيظ.

كن حليماً إذا بُليت بغيظٍ

وصبوراً إذا أتتك مُصيب

فاللّيالي من الزّمان حَبَالَى

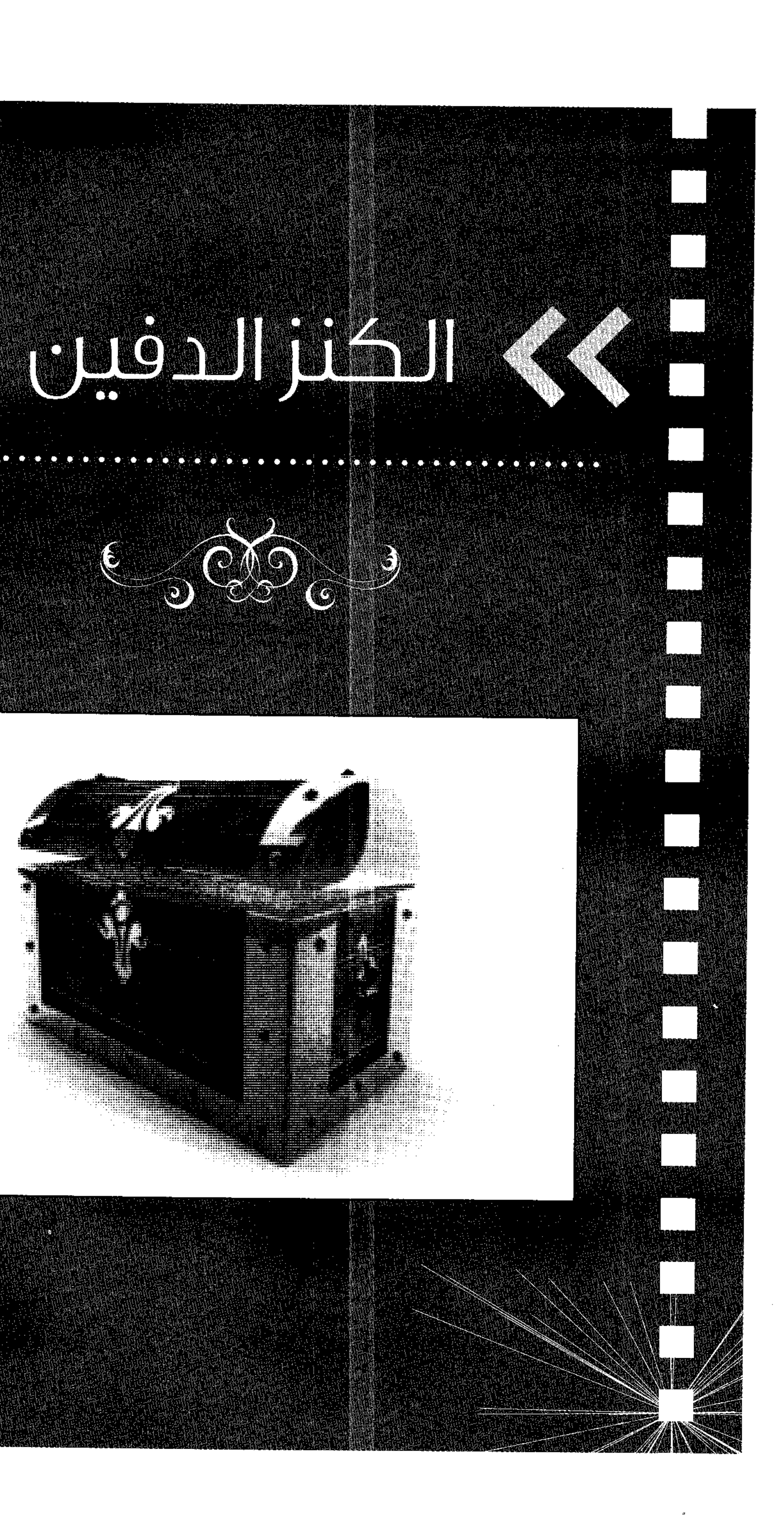
مُثقلات يلدن كل عجيب

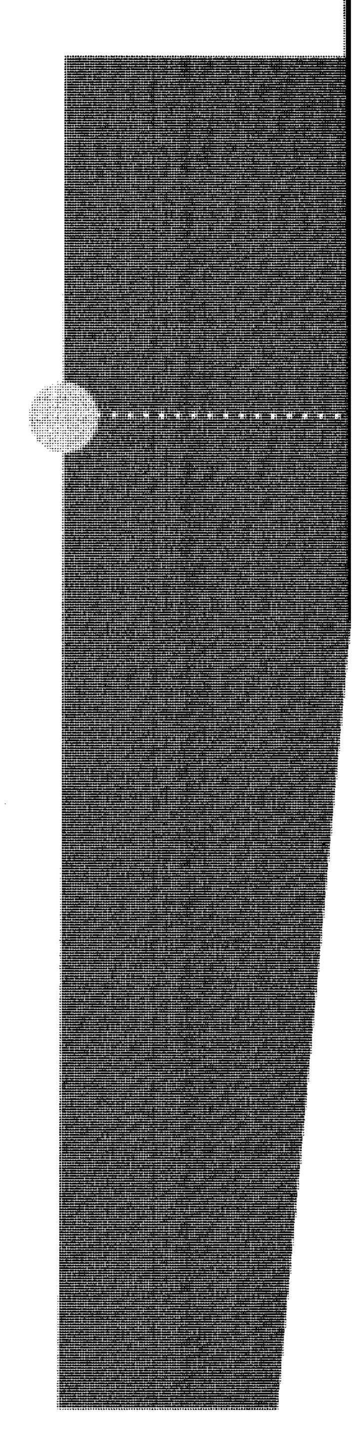
وعندما يقترن الصبر بالعبادة، التي هي مدد الروح

وجلاء القلب، يمتد حبـــل الصبر ولا ينقطع، ثم يضاف إلى الصبر الرضى والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين، فقـــد كان خاتم الأنبيـــاء ﷺ إذا أهمه أمر أو حزبه أمر لجأ إلى الصلاة (أرحنا بها يا بلال). كما فُســـر الصبر في قوله تعالى: ﴿وَاسْـتَعِينُوا بِالصَّبْـرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] أنه الصوم، وسمي رمضان شهر الصبر، عن أبي هريرة قال: سمعت رســـول الله ﷺ يقول: (صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شـــهر صـــوم الدهر). وعن رجل من بني ســـليم قال: عقد رسول الله ﷺ في يده أو في يدي فقال: (ســـبحان الله نصف الميـــزان، والحمد لله تملأ الميزان، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، والطهور نصف الإيمان، والصوم نصف الصبر). (ولما كان الصبر حبس النفـــس عن إجابة داعي الهوى، وكان هذا حقيقة الصوم فإنه حبس النفس عن إجابة داعي شهوة الطعام والشراب والجماع)[1].



(١) [ابن القيم من كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – بتصرف].


الكنز الدفين



نعم يـــا أحبتي إنـــه كنز في فوائـــده الدنيوية والأخرويــــة، دفين في أعمـــاق كل مؤمن بالله عز وجل، من صاحبه نال الأجر العظيم من الله القدير عز وجل، فدعونا نتعـــرف إلى هذا الكنز الذي لا ندامة معه.

عرف العلماء الصبر بأنه لغةً: المنع والحبس والكف. واصطلاحـــاً: حبس النفس عن الجزع والتســـخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن التشويش (لطم الخدود وشـــق الثياب والتضجـــر والملل). وهو على ثلاثة أنواع:

1. صبر على طاعة الله.
2. صبر عن معصية الله.
3. صبر على أقدار الله.

فالصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله صبر على ما يتعلق بالكسب، والصبر على أقدار الله صبر على ما لا كسب للعبد فيه.

ومراتب الصبر ثلاث:

الأول: صبر بالله: وهو الاستعانة به ورؤيته أنه هو المصبّر وأن صبر العبد بربه لا بنفسه.

الثاني: الصبر لله: وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه والتقرب إليه.

الثالث: الصبر مع الله: أي قد جعل نفسه وقفاً على أوامره ومحابه. وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها. وهو صبر الصديقين وهو ينقسم في حكمه إلى أقسام:

- الصبر الواجب: وهو على ثلاثة أنواع:
  - الصبر عن المحرمات.
  - الصبر على أداء الواجب.
  - الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها.

• الصبر المندوب: هو الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

• الصبر المحظور: وهو أنواع: أحدهـا الصبر عن الطعام والشـراب حتى يموت، وكذلك الصبر عن الميتـة والدم ولحم الخنزير عنـد المخمصة حرام إذا خـاف بتركه الموت. ومن الصبر المحظور صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو كافر يريد قتله.

"وبالجملة فالصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب، وعليه حرام. والصبر على المستحب مستحب، وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مسـتحب، وعليه مكروه. والصبر عـن المباح مباح والله أعلم"[1].

وينقسم الصبر إلى محمود ومذموم: فالمذموم الصبر عـن الله وإرادته ومحبته وسـير القلب إليه . وفي هذا قيل:

(١) من كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية.

الصبر يحمد في المواطن كلها

إلا عليك فإنه لا يحمد

وقيل:

والصبر عنك فمذموم عواقبه

والصبر في سائر الأشياء محمود

وأما الصبر المحمود فنوعان: صبر لله، وصبر مع الله، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] وقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

الأسباب التي تعين على الصبر:

- إن الله أمرنا بالصبر وجعل له أسباباً تعين عليه، وما قدر داءً إلا قدر له دواء. وهو يتركب من مفردين: العلم والعمل، فمنهما تركب جميع الأدوية التي تداوى بها القلوب والأبدان فلا بد من جزء علمي وهو إدراك المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال، وإدراك ما في المحظور من الشر والضر والنقص، ثم يضيف إليها العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة الإنسانية. ويضم العلم والعمل فيحصل له الصبر، وتهون عليه المشاق. وينقلب الألم إلى

لــذة. فالصبر مصارعة باعث العقــل والدين لباعث الهوى والنفس. قال تعالى: (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً)

والصبور: من صفات الله عز وجل، وفي الصحيحين من حديث الأعمش عــن ســعيد بن جبيــر عن أبــي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «لا أحد أصبر على أذى يســمعه من الله عز وجل. إنه يشرك به، ويجعل له الولد، ثم هو يعافيهم ويرزقهم»[1]. صبر مع كمال علم وقدرة وعظمة وعزة، والصبور هو من أمثلة المبالغة، ولما كان الحلم أصل الصبر والصبر، ثمرة الحلــم وموجبه، فقد جاء في القرآن اســم الله الحليم في أكثر من موضع مقروناً بالعلم، ولم يرد اسم الصبور في القرآن الكريم. قال ابن قيم الجوزية: (ولما كان اسم الحليم أدخل في الأوصاف واسم الصبور في الأفعال كان الحلم أصل الصبر. فوقع الاستغناء بذكره في القرآن عن اسم الصبور والله أعلم)[2].



(١) أخرجه مسلم (٥٠٢١).

(٢) من كتاب عدة الصابرين لابن القيم (ص ٢٣٩).


آيات الصبر
في القرآن

١ - ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]:

أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه: وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وإن الصلاة شاقة إلا على الخاشعين، فالخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته وسكونه لله تعالى وانكساره بين يديه ذلاً وافتقاراً وإيماناً به وبلقائه[١].

(١) تفسير السعدي (١/ ٥١).

٢ - ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١]:

الخطاب في هذه الآيات لأمة بني اسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال من أسلافهم ونسبت إليهم لأنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم ويزعمون فضلهم على محمد ﷺ ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلف ليسوا من أهل الصبر، ومكارم الأخلاق، فلم يصبروا على أكل المن والسلوى الذي منَّ الله به عليهم، فهو خير الأطعمة وأشرفها، وطلبوا بدلاً منه عيشهم الذي كانوا عليه، فهم أهل عدس وبصل وحنطة وقثاء وثوم. طلبوا الأطعمة التي إذا هبطوا مصر وجدوها؛ لذلك جازاهم الله من جنس عملهم فقال: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾ التي تشاهد على ظاهر أبدانهم ﴿ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ بقلوبهم. ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي لم تكن غنيمتهم التي رجعوا بها إلا بسخطه عليهم ﴿ وَيَقْتُلُونَ

﴿النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ زيادة شناعة وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بالمعصية التي تبدأ صغيرة تجر بعضها بعضاً حتى تصل إلى أنواع البدع والكفر[١].

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]:

يرشدنا تعالى بالصبر والصلاة، فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها كما جاء في الحديث "عجباً للمؤمن لا يقضي الله قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له". وبيَّن تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة وفي الحديث (أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر صلى). وقال سعيد بن جبير: الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه، واحتسابه عند الله رجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه إلا الصبر[٢].

---

(١) من تفسير السعدي (١/ ٥٣).

(٢) من تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٦).

٤ - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]:

أخبرنا تعالى أنه يختبر عباده تارةً بالسراء، وتارة بالضـــراء من خوف وجوع ونقص من الأموال بذهاب بعضها، وموت الأصحاب والأقارب والأحباب. ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِيـنَ﴾ مـــن صبر أثابه الله، ومـــن قنط أحل به عقابه(١).

٥- ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]:

يتعجـــب من رآهم في العذاب من صبرهم على ذلك مع شـــدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال، وقيل معناه: أي فما أدومهم لعمـــل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار(٢).

٦- ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٥).

(٢) من تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٤).

وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]:

إن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم حولهم إلى الكعبة، شقَّ ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل، وامتثال أوامره، والتوجه حيثما وجه، واتباع ما شرع، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب برٌّ ولا إن لم يكن عن أمر الله. وقوله: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾ أي: في حال المرض والأسقام وهو الضراء، ﴿وحين البأس﴾ أي في القتال والتقاء الأعداء، وقوله: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾ المتصفين بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، ﴿**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات[1].

---

(١) من تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٨).

٧- ﴿فَلَمَّـا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْـجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَـرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّـي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَـةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّـن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَـةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّـهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٨- ﴿وَلَـمَّـا بَرَزُوا لِـجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]:

قال تعالى: - ﴿فَلَمَّا جَـاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُـوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم، فشـجعهم علماؤهم العالمون بأن وعد اللـه حق، فإن النصر من عنـد الله ليس عن كثرة عدد ولا عُدد. ولهذا قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. ذكروا في الإسـرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده، رماه به فأصابه فقتله، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته، ويشـركه في أمره، فوفى له ثـم آل الملك إلى داود عليه السـلام مع ما منحه الله به من النبوة العظيمة؛ ولهذا

قال تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥١] الذي كان بيد طالوت. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي النبوة بعد شمويل ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أي مما يشاء الله من العلم الذي اختص به ﷺ. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي لما واجه حزب الإيمان، وهم قليل من أصحاب طالوت لعدوهم أصحاب جالوت، وهم عدد كثير ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي أنزل علينا صبراً من عندك. ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي في لقاء الأعداء، وجنبنا الفرار والعجز ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١] أي غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم والطلب من الله عز وجل أن يعينهم على الصبر(١).

٩- ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]:

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم بالثواب الجزيل فيقول: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٦] أي بك وبكتابك وبرسولك، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي بإيماننا بك وبما شرعته لنا، فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا في

(١) من تفسير ابن كثير (١/ ٦٦٨).

أمرنا بفضلك ورحمتك، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم قال تعالى ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أي في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ أي فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمون من الأعمال الشاقة ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ القنوت الطاعة والخضوع ﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾ من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الأرحام والقربات، وسد الخلات ومواساة ذوي الحاجات ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار[1].

١٠- ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]:

يخاطب الله المؤمنين ويرشدهم إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ يعني: تصبروا على عدوكم، وتتقوني وتطيعوا أمري[2].

---

(١) من تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣).

(٢) من تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٩).

قال ابن قيم الجوزية: (إنه سبحانه جعل الصبر والتقوى جُنَّة عظيمة من كَيْد العدو ومكره، فما استَجَنَّ العبد من ذلك جَنَّة أعظم منهما)[1].

١١- ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥]:

وقوله: ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ يعني: تصبروا على عدوكم، وتتقوني وتطيعوا أمري. قال ابن قيم الجوزية: علق سبحانه النصر بالصبر والتقوى ولهذا قال النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر»[2].

١٢- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]:

هذا استفهام إنكاري أي: لا تظنوا ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن في الجنة أعلى المطالب وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى

(١) من كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية.
(٢) من تفسير ابن كثير (٢/ ١١٣).

الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها وتمرينها عليها ومعرفة ما تؤول إليه تنقلب عند أرباب البصائر منحاً يسرون بها ولا يبالون بها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء(١).

١٣- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]:

كأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون أي جماعات فما وهنوا بعد نبيهم، وما ضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم، وذلك الصبر ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾. قال ابن قيم الجوزية: علق سبحانه محبته بالصبر وجعلها لأهلها(٢).

١٤- ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]:

(١) تفسير السعدي (١/ ١٥٠).
(٢) من تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٠).

لا بد أن يبتلى المؤمن في شـــيء من ماله أو نفسه أو ولـــده أو أهله، ويبتلى المؤمن على قدر دينه، فإن كان في دينـــه صلابة زيد في البلاء، فكل مـــن قام بحق أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر؛ فلا بد أن يؤذى، فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله والرجوع إلى الله عز وجل[1].

١٥- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [**آل عمران**: ٢٠٠]:

عن أبي سـلمة بن عبـد الرحمن قـال: أقبل عليّ أبو هريـرة يوماً، فقال: (أتدري يا بـن أخي فيم نزلت هذه الآية ﴿**يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِـرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾؟. قلت: لا. قال: أما إنه لـم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابطـون فيه، ولكنها نزلت في قوم يعمرون المسـاجد ويصلون الصـلاة في مواقيتها، ثم يذكـرون الله فيها، فعليهـم أنزلت). ﴿**اصْبِرُوا**﴾ أي: على الصلوات الخمس ﴿**وَصَابِـرُوا**﴾ أنفسكم وهواكم ﴿**وَرَابِطُوا**﴾ في مساجدكم ﴿**وَاتَّقُـوا اللَّهَ**﴾ فيما عليكم ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾. روى البخاري

(١) من تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٠).

في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سـبيل الله خير من الدنيا وما عليها»[1]. قال ابن قيم الجوزية: إنه انتقال من الأدنى إلى الأعلى. فالصبر دون المصابرة. والمصابرة دون المرابطة، والمرابطة مفاعلة من الربط وهو الشد. وسمي المرابط مرابطاً لأن المرابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفزع. ثم قيل لكل منتظر قد ربط نفسه لطاعة ينتظرها: مرابط. عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط). وفي كتاب الأدب للبخاري: (سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان؟ فقال: الصبر والسماحة)[2].

١٦- ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ

(١) من تفسير ابن كثير (٢/ ١٩٦-١٩٧).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٨).

فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥]:

استدل جمهور العلماء في جواز نكاح الإماء على أنه لا بد من عدم الطول لنكاح الحرائر ومن خوف العنت لما في نكاحهن من مفسدة رق الأولاد، ولما فيهن من الدناءة في العدول عن الحرائر إليهن[١].

١٧- **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الأنعام: ٣٤]:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له، فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصروا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة[٢].

(١) من تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٧).
(٢) من تفسيرابن كثير (٣/ ٢٥٢).

١٨- ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]: وقوله ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ يخاطب النبي شعيب قومه بأنهم قد اختلفوا عليه ﴿فَاصْبِرُوا﴾ أي انتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم أي يفصل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فإنه سيجعل العاقبة للمتقين، والدمار على الكافرين.[1].

١٩- ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]:

قال ابن عباس: وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون، وقول السحرة ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥] أي قد تحققنا إنا إليه راجعون وعذابه أشد من عذابك، ونكاله على ما تدعونا إليه اليوم وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص عن عذاب الله ولهذا قالوا ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي عمنا بالصبر على دينك والثبات عليه[2].

(١) من تفسير ابن كثير(٣/ ٤٤٨).
(٢) من تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٩).

٢٠- ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]:

ولما صمم فرعون على ما ذكره من المساءة لبني إسرائيل ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ ووعدهم بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم في قوله ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩] أي قد فعلوا بنا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى ومن بعد ذلك، فقال منبهاً لهم على حالهم الحاضر وما يصيرون إليه في ثاني الحال ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٩] الآية، وهذا تخصيص لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النقم[1].

٢١- ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧] (من تفسير فتح القدير):

(١) من تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٠).

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ ﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ أي: يذلون ويمتهنون بالخدمة لفرعون وقومه، والأرض هي مصر والشام، ومشارقها جهات مشرقها. ومغاربها جهات مغربها، وهي التي كانت لفرعون وقومه من القبط، وقيل: المراد جميع الأرض؛ لأن داود وسليمان من بني إسرائيل، وقد ملكا الأرض. قوله: ﴿ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ قيل: صفة الأرض، والمباركة فيها إخراج الزرع والثمار منها على أتم ما يكون وأنفع ما ينفق. قوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ أي مضت واستمرت على التمام والكلمة هي ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]. وهذا وعد من الله سبحانه بالنصر والظفر بالأعداء والاستيلاء على أملاكهم، والحسنى: صفة للكلمة، وهي تأنيث الأحسن، وتمام هذه الكلمة ﴿ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ بسبب صبرهم على ما أصيبوا به من فرعون وقومه. قوله: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴾ التدمير الإهلاك: أي أهلكنا بالخراب ما كانوا يصنعونه من العمارات ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ أي: ما كانوا يعرشونه من الجنات، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ [الأنعام: ١٤١] وقيل: معنى يعرشون يبنون.

٢٢- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦]:

أمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه، بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك، فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبيلاً لتخاذلهم وفشلهم، ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي قوتكم دولتكم، وما كنتم فيه من الإقبال، ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وقد كان للصحابة رضوان الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه؛ ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم؛ فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش، وأصناف السودان

والقبط وطوائف بني آدم. قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان[1].

٢٣- ﴿ **يَـا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْـرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَـةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ** ﴾ [**الأنفال**: ٦٥].

٢٤- ﴿ **الآنَ خَفَّـفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِـمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُـم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [**الأنفال**: ٦٦]:

يحرض تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم أي كافيهم وناصرهم ومؤيدهم علــى عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفــت أمدادهم، ولو قل عــدد المؤمنين. ولهذا قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾ أي حثهم أو مرهم عليه، ولهذا كان رســول الله ﷺ يحــرض على القتال، عنــد صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشــركون في عَدَدَهم وعُدَدِهم: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عمير بن الحمام:

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٨٦).

عرضها السموات والأرض؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم»، فقال: بخ بخ، فقال: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟» قال: رجاء أن أكون مــن أهلها، قال: «فإنك من أهلها» فتقدم الرجل، فكسر جفن ســيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهن من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة، ثم تقدم فقاتل حتى قُتل - رضي الله عنه -. ثم قال تعالى مبشــراً للمؤمنين وآمرًا: ﴿**إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًــا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ كل واحد بعشرة، ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿**إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾ شق ذلك على المســلمين، حتى فرض الله عليهم ألَّا يفر واحد من عشــرة، ثم جاء التخفيف، فقال: ﴿**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ**﴾ إلى قوله ﴿**يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾ قال: خفف الله عنهم من العدة، ونقص من الصبر، بقدر ما خفف عنهم، وقال محمد بن إسحاق حدثني ابن أبي نجيح، عن عطاء عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المســلمين، وأعظموا أن يقاتل عشــرون مائتين، ومائة ألفاً، فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى، فقال: ﴿**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ**

أنّ فِيكُـمْ ضَعْفًا﴾ الآية، فكانوا إذا كانوا على الشـطر من عدوهم، لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم، وروى عن ابن عمر - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْـرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُـوا مِائَتَيْنِ﴾ قال: (نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ)[1].

٢٥- ﴿وَاتَّبِـعْ مَا يُوحَى إِلَيْـكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُـمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]:

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ أي تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه إليك، واصبر على مخالفة من خالفك من الناس ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ أي يفتح بينك وبينهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي خير الفاتحين بعدله وحكمته[2].

٢٦- ﴿إِلَّا الَّذِيـنَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَـاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي على الشـدائد والمكاره ﴿وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ﴾أي فـي الرخاء والعافية

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٨٧).
(٢) من تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠١).

﴿أُوْلَئِـك لَهُم مّغْفِـرَةٌ﴾ أي بما يصيبهم من الضراء ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء كما جاء في الحديث: «والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله عنه بها من خطاياه». وفي الصحيحين «والذي نفســي بيده لا يقضــي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته ســراء فشــكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيــراً له، وليس ذلك لأحد غيــر المؤمن». قال ابن قيم الجوزية: «إنه ســبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها، فقرنه بالصلاة كقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾، وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً كقوله: ﴿إِلّا الّذِيـنَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وجعله قرين التقوى كقوله: ﴿إِنَّهُ مَن يَتّقِ وَيَصْبِرْ﴾، وجعله قرين الشــكر كقوله: ﴿إِنَّ فِـي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبّارٍ شَــكُورٍ﴾، وجعله قرين الحق كقوله: ﴿وَتَوَاصَـوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَـوْا بِالصَّبْرِ﴾، وجعله قرين الرحمة كقوله: ﴿لَمّا صَبَـرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وجعله قريــن الصدق كقوله: ﴿وَالصَّادِقِـينَ وَالصَّادِقَــاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وجعله ســبب محبته ومعيته

وعونه وحســـن جزائه. ويكفي بعض ذلك شرفاً وفضلاً والله أعلم»[1].

٢٧- **﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [هود: ٤٩]:

يقول تعالى لنبيه ﷺ هذه القصة وأشباهها **﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾** يعني من أخبار الغيوب الســـالفة نوحيها إليك على وجهها كأنك شـــاهدها، **﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾** أي نعلمك بها وحيـــاً منا إليك **﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنـــتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـــذَا﴾** أي لم يكن عندك ولا عنـــد أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذبك إنـــك تعلمتها منه بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح كما تشـــهد به كتب الأنبياء قبلك، فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك، وأذاهم لك، فإنا ســـننصرك ونحوطك بعنايتنا، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم **﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾** [غافـــر: ٥١] الآية وقـــال تعالى: **﴿وَلَقَدْ سَـــبَقَتْ كَلِمَتُنَـــا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَـــلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُـــورُونَ﴾** [الصافات: ١٧١، ١٧٢]،

---

(١) من تفسير ابن كثير(٤/ ٣٢٩).

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩][١].

٢٨- ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[هود: ١١٥]:

﴿وَاصْبِرْ﴾ أي: احبس نفسك على طاعة الله، وعن معصيته، وإلزامها لذلك، واستمر ولا تضجر. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم، بأحسن ما كانوا يعملون. وفي هذا ترغيب عظيم، للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة، إلى ثواب الله، كلما ونت وفترت[٢].

٢٩- ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]:

عن ابن عباس ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال: لو أكله السبع لخرق القميص، وقال مجاهد: الصبر الجميل الذي لا جزع فيه. وروي عن حبان بن أبي جبلة أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٩).
(٢) من تقسير السعدي (١/ ٣٩١).

فقال: صبر لا شــكوى فيه، وهذا مرسل. وذكر البخاري حديث عائشة - رضي الله عنها - في الإفك قولها: والله لا أجـــد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوســـف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1].

٣٠- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]:

قال لهم كما قال لهم حين جاؤوا على قميص يوسف بدم كذب ﴿بَلْ سَــوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُســكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال محمد بن إســـحاق: لما جاؤوا يعقوب وأخبروه بما جرى؛ اتهمهـــم فظن أنها كفعلتهم بيوســـف، قال: ﴿بَلْ سَــوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُســكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾. وقال بعض الناس: لما كان صنيعهم هذا مرتباً على فعلهم الأول، سحب حكم الأول عليه، وصح قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ثم ترجـــى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة: يوســـف وأخـــاه بنيامين وروبيل الذي أقام بديار مصر ينتظر أمر اللـــه فيه، إما أن يرضى عنه أبوه، فيأمره بالرجوع إليه، وإما أن يأخذ أخاه خفية، ولهذا قال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٥).

بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾أي العليم بحالي ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وقضائه وقدره[1].

٣١- ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]:

يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف: ﴿أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ﴾، فقال: - نعم أنا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بأن جمع بيننا بعد ما فرّقتم بيننا ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ويصبر، يقول: ويكفّ نفسه، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه[2].

٣٢- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]:

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٤).

(٢) من تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٤).

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي عن المحارم والمآثم، ففطموا أنفسهم عنها لله عز وجل ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها، على الوجه الشرعي المرضي ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أي على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحاويج ومساكين ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي في السر والجهر، لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال، آناء الليل وأطراف النهار ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبراً واحتمالاً وصفحاً وعفواً(١).

٣٣- ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]:

ذكر البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ يأتي الشهداء، فإذا أتى فرضة الشعب يقول: (السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار). ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعله، وكان عمر

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥١).

بعد أبي بكر يفعلـــه، وكان عثمان بعد عمر يفعله. وقال الحسن البصري - رحمه الله -: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ عن فضول الدنيا. وقيل: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ على ملازمة الطاعة، ومفارقة المعصية؛ قال معناه الفضيل بـــن عياض. قال ابن زيد: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ عما تحبونه إذا فقدتموه. ويحتمل ســـابعاً ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ عن اتباع الشهوات. وعن عبدالله بن سلام وعلي بن الحســـين - رضي الله عنهم - أنهما قالا: إذا كان يـــوم القيامة ينادي مناد ليقم أهـــل الصبر؛ فيقوم ناس من الناس فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكـــة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة؛ قالوا: أقبل الحساب؟ قالوا: نعم! فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبَّرنا أنفســـنا على طاعة الله، وصبرناهـــا عن معاصي الله، وصبرناها على البلاء والمحن فـــي الدنيا. قال علي بن الحســـين: فتقول لهم الملائكة: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. وقال ابن ســـلام: فتقول لهم الملائكة: ﴿سَـــلَامٌ عَلَيْكُـــم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾. ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها؛ عملتـــم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه؛ فالعقبى على هذا اسم، و ﴿الدَّارِ﴾ هي الدنيا. وقال

أبو عمران الجوني: ﴿فَنِعْـمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الجنة عن النار. وعنه: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الجنة عن الدنيا[1].

٣٤- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَـكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]:

كما أرسـلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهـم، تدعوهم إلى الخروج مـن الظلمات إلى النور، كذلك أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل بآياتنا، قال مجاهد: هي التسـع الآيات ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ أي أمرناه قائلين له: ﴿أَخْـرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي ادعهم إلـى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ أي بأياديه ونعمه عليهم في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه، وإنجائه إياهم من عدوهم، وفلقه لهم البحر، وتظليله إياهم بالغمام، وإنزاله عليهم المن والسـلوى إلى غير ذلك من النعـم. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَـكُورٍ﴾ أي إن فيما صنعنا بأوليائنا

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٣١٣).

بني إسرائيل حين كانوا فيه من العذاب المهين لعبرة لكل صبار؛ أي في الضراء، شكور؛ أي في السراء، وكذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أمر المؤمن كله عجب، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له». وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ في سورة ابراهيم وفي سورة الشورى وفي سورة سبأ وفي سورة لقمان[1].

٣٥- ﴿**وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [**إبراهيم**: ١٢] (من تفسير السعدي):

﴿**وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا**﴾ أي: ولنستمرنَّ على دعوتكم، ووعظكم، وتذكيركم، ولا نبالي بما يأتينا منكم، من الأذى، فإنا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى؛ احتساباً للأجر، ونصحاً لكم، لعل الله أن يهديكم

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٨).

مع كثــرة التذكير. ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وحــده لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير. واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب، وهو التوكل على الله، في إقامة دينه ونصره، وهداية عبيده، وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل[1].

٣٦- ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]:

قال عبد الرحمن بن زيد بن أســلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهــم إلى الله عز وجل، تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكــوا وتضرعوا فلما رأوا أنه لا ينفعهم قالوا: إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبراً لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ الآية. ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ أي منجٍ[2].

(١) من تفسير السعدي (١/ ٤٢٢).

(٢) من تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٨).

٣٧- ﴿**الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [**النحل**: ٤٢].

﴿**الَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه، والمحن ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ أي يعتمدون عليه في تنفيذ محابه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح أمورهم، وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل؛ ملاك الأمور كلها، فما فات أحداً شيء من الخير، إلا لعدم صبره، وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله[1].

٣٨- ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [**النحل**: ٩٦]:

قوله تعالى: ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ أي على الإسلام والطاعات وعن المعاصي. ﴿**أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ أي من الطاعات، وجعلها أحسن لأن ما عداها من الحسن مباح، والجزاء إنما يكون على الطاعات من حيث الوعد من الله. وقيل: إن هذه الآية ﴿**وَلَا تَشْتَرُوا...**﴾ نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي وخصمه ابن أسوع، اختصما في أرض فأراد امرؤ القيس أن يحلف

(١) من تفسير السعدي (١/ ٤٤٠).

فلما سمع هذه الآية نكل وأقر له بحقه، والله أعلم[1].

٣٩- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]:

يقول تعالى ذكره: ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول: إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور، وذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون وللإيمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم. وذُكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا تخلّفوا بمكة بعد هجرة

(١) من تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٣).

النبيّ ﷺ، فاشتدّ المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم، فأيسوا من التوبة، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فهاجروا ولحقوا برسول الله ﷺ)[1].

٤٠- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

٤١- ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]:

يأمر تعالى بالعدل في القصاص والمماثلة في استيفاء الحق، عن أُبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد قتل من الأنصار ستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لنربينّ عليهم، فلما كان يوم الفتح قال رجل: لا تعرف قريش بعد اليوم، فنادى مناد: إن رسول الله ﷺ قد أمن الأسود والأبيض إلا فلاناً وفلاناً- ناساً سماهم - فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ إلى آخر السورة، فقال رسول الله ﷺ: «نصبر ولا نعاقب». وقال في هذه الآية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا

---

(١) من تفسير الطبري (١٧/ ٣٠٦).

عُوقِبْتُم بِهِ﴾ ثم قال: **﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾**. وقوله تعالى: **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾** تأكيد للأمر بالصبر وإخبار بأن ذلك لا ينال إلا بمشيئة الله وإعانته، وحوله وقوته، ثم قال تعالى: **﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾** أي على من خالفك فإن الله قدر ذلك، **﴿وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾** أي غم **﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾** أي مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك، فإن الله كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم(١).

٤٢- **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨]:

وقوله: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشياً، من عباد الله سواء أكانوا فقراء أم أغنياء، أم أقوياء أم ضعفاء، يقال: إنها نزلت في أشراف قريش حين

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥).

طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حدة، فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ الآية، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء، فقال: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ الآية، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: (أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات)».

وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ الآية، فخرج يتلمسهم، فوجد قوماً يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: «الحمد الله الذي جعل في أمتي من أمرني الله أن أصبر نفسي معهم»[1].

---

(١) من تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٣).

٤٣- ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [**الكهف** : ٦٧].

٤٤- ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [**الكهف** : ٦٨].

٤٥- ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [**الكهف** : ٦٩].

٤٦- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [**الكهف** : ٧٢].

٤٧- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [**الكهف** : ٧٥].

٤٨- ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [**الكهف** : ٧٨].

٤٩- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [**الكهف** : ٨٢]:

﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ «أي: أعطاه الله رحمة خاصة، بها زاد علمه، وحسن عمله» ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿عِلْمًا﴾، وكان الخضر قد أعطي من العلم ما لم

يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية، والأصولية؛ لأنه من أولي العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق؛ بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى، قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدي، وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة ما به يحصل له الاطلاع، على بواطن كثير من الأشياء، التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام، فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك "لن تستطيع معي صبراً" أي: لا تقدر على اتباعي وملازمتي؛ لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور، التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً" أي: كيف تصبر على أمر، ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟ فقال موسى: "ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً" وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر

شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر. فحينئذ قال له الخضر: "فإن اتبعتني فلا تسألني عن شــيء حتى أحدث لك منه ذكــراً" أي: لا تبتدئني بســؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، فــي الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن ســؤاله، ووعــده أن يوقفه على حقيقــة الأمر."فانطلقا حتى إذا ركبا في الســفينة خرقها" أي: اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك، ســيبينه، فلم يصبر موســى عليه الســلام؛ لأن ظاهره أنه منكر؛ لأنه عيب للسفينة، وســبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: "أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً" أي: عظيماً شنيعاً، وهذا من عدم صبره عليه السلام، فقال له الخضر: "ألم أقل إنك لن تســتطيع معي صبراً" أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى، نســياناً فقال: "لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عســراً" أي: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني فــي أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر، الشــدة على صاحبك، فســمح

عنه الخضر. (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً) أي: صغيراً "فقتله" الخضر، فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلامـــاً صغيراً، لم يذنب."قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً". وأي نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحداً؟ وكان الأول من موسى نســياناً، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر، فقال له الخضر، معاتباً ومذكراً: "ألم أقل لك إنك لن تســتطيع معي صبراً". فقال له موسى: "إن سألتك عن شيء بعدها" أي: بعد هذه المرة "فلا تصاحبني" أي: فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي "قد بلغت من لدني عــذراً" أي: أعذرت مني، ولم تقصر. "فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها" أي: استضافاهم "فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض" أي: عاب واستهدم "فأقامه" الخضر أي: بناه وأعاده جديداً. فقال له موســى:"لو شئت لاتخذت عليه أجراً"، أي: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مــع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجرة، وأنت تقدر عليها؟ فحينئذ لم يف موسى عليه الســلام بما قال، واستعذر الخضر منه، فقال له:

"هذا فراق بيني وبينك" فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة. "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً" أي: سأخبرك بما أنكرت علي، وأنبئك بأن لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر. "أما السفينة" التي خرقتها "فكانت لمساكين يعملون في البحر" يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم. "فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً" أي: كان مرورهم على ذلك الملك الظالم، فكل سفينة صالحة تمـر عليه، ما فيها عيب، غصبها وأخذها ظلماً، فأردت أن أخرقها، ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم. وأما الغلام "الذي قتلته" فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً"، وكان ذلك الغلام، قد قدر عليه، أنه لو بلغ، لأرهق أبويه طغياناً وكفراً. أي: لحملهما على الطغيان والكفر، إما لأجل محبتهما إياه، أو للحاجة إليه يحملهما على ذلك، أي: فقتلته، لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟ وهو إن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية،

ما هو خير منــــه، ولهذا قال: " فأردنا أن يبدلهما ربهما خيــراً منه زكاة وأقرب رحماً" أي: ولـــداً صالحاً، زكياً، واصلاً لرحمه، فإن الغلام الذي قتل، لو بلغ لعقهما أشد العقـــوق، بحملهما على الكفـــر والطغيان". وأما الجدار "الذي أقمته" فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهمـــا وكان "أبوهما صالحـــاً" أي: حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما؛ لكونهما صغيرين، عدما أباهما، وحفظهما الله أيضـــاً، بصلاح والدهما. "فأراد ربك أن يبلغا أشـــدهما ويســـتخرجا كنزهما" أي: فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، ورددته، وأعدته مجاناً. "رحمة ربك" أي: هذا الذي فعلته رحمة من الله، آتاها الله عبده الخضر "ومـــا فعلته عن أمري" أي: ما أتيت شيئاً من قبل نفسي، ومجرد إرادتي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره "ذلك" الذي فســـرته لك "تأويل ما لم تسطع عليه صبراً"(١).

٥٠- ﴿رَبُّ السَّـــمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَـــا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]:

---

(١) من تفسير السعدي (١/ ٤٨١-٤٨٢).

أمــر الله نبيــه ﷺ بعبادته والصبــر عليها فقال: ﴿فَاعْبُـدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَـمِيًّا﴾ قيل المعنى: إنه لم يسـمَ شـيء من الأصنام ولا غيرها بالله قط، يعني بعد دخول الألف واللام التي عوضت عن الهمزة ولزمت، وقيل المراد هــل تعلم أحداً اســمه الرحمن غيره. قال الزجاج: تأويله والله أعلم: هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون، وعلى هذا لا سميّ لله في جميع أسمائه؛ لأن غيره وإن سمي بشيء من أسمائه؛ فلله سبحانه حقيقة ذلك الوصف[1].

٥١- ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّـمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَـبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠].

٥٢- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]:

يقول تعالى لنبيه مسـلياً له: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي من تكذيبهم لك ﴿وَسَـبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وَقَبْـلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني صلاة العصر،

---

(١) من تفسير فتح القدير (٣/ ٤٨٩).

كمـــا جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: كنا جلوســـاً عند رســـول الله ﷺ فنظـــر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم ســـترون ربكم كما ترون هذا القمـــر، لا تضامون في رؤيته، فإن اســـتطعتم ألَّا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ هذه الآية، وفي المســـند والسنن عن ابن عمر قال: قال رســـول الله ﷺ: « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة، ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلـــى أدناه، وإن أعلاهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى في اليوم مرتين». وقوله: ﴿**وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَـبِّحْ**﴾ أي من ســـاعاته فتهجد به، وحمله بعضهم على المغرب والعشـــاء، ﴿**وَأَطْرَافَ النَّهَارِ**﴾ في مقابلة آناء الليل ﴿**لَعَلَّكَ تَرْضَى**﴾ كما قال تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَـى**﴾ [**الضحى**: ٥] وفي الصحيح «يقول الله تعالى: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وســـعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا ومـــا لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: إني أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شـــيء أفضل من ذلك؟ فيقول:

أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً». وفي الحديث الآخر «يا أهــل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقــل موازيننــا ويزحزحنا عن النـــار ويدخلنا الجنة، فيكشــف الحجاب فينظرون إليه، فــو الله ما أعطاهم خيــراً من النظر إليه، وهي الزيادة». وقوله: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصبر أنت على فعلها. وقوله: ﴿ **لا نَسْــأَلُكَ رِزْقًا نَّحْــنُ نَرْزُقُــكَ** ﴾ يعني إذا أقمت الصــلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتســب، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّــقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًــا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِــبُ** ﴾ [**الطلاق**: ٢، ٣]. قال ثابت: «وكانت الأنبيــاء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة»، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: «يا بــن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسدَّ فقرك، وإن لم تفعل، ملأت صدرك شغلاً ولم أسدَّ فقرك»[1].

٥٣- ﴿ **وَإِسْــمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْــلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [**الأنبياء**: ٨٥]:

---

(١) من تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٥-٣٢٧).

وأما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وأما إدريس فقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦] جمع الله له بين الصديقية، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه، واختياره لرسالته. ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] أي: رفع الله ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة[1]. قال ابن جريج عن مجاهد في قوله: ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ قال: رجل صالح غير نبي، تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم له ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسمي ذا الكفل، وروي عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل، فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدريه الأعين فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال: نعم، قال: فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر، فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا،

(١) من تفسير السعدي (٤٩٦).

فاســتخلفه. قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان فأعياهم ذلك، فقال: دعوني وإياه، فأتاه في صورة شــيخ كبير فقير، فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة ـ وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلــك النومة، فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، قال: فقام ففتح الباب، فجعل يقص عليه، فقــال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلمونــي، وفعلوا بي وفعلوا بي، وجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة، فقال: إذا رحت فائتني آخذ لك بحقك، فانطلق وراح، فكان في مجلســه، فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره، فقام يتبعه، فلما كان الغد جعــل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخــذ مضجعه، أتاه فدق الباب فقال: من هذا؟ قال: الشــيخ الكبير المظلوم، ففتح له فقال: ألم أقل لك إذا قعــدت فائتني، قال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعــد قالوا: نحن نعطيك حقــك، وإذا قمت جحدوني، قال: فانطلق، فإذا رحت فائتنــي، قال: ففاتته القائلة، فراح فجعل ينتظره ولا يراه، وشــق عليه النعاس، فقال لبعــض أهله: لا تدع أحداً يقرب هــذا الباب حتى أنام،

فإني قد شق عليّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل: وراءك، وراءك، قال: إني قد أتيته أمس وذكرت له أمري، فقال: لا والله لقد أمرنا ألَّا ندع أحداً يقربه، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها، فإذا هو في البيت، وإذا هو يدق الباب من داخل، قال: واستيقظ الرجل، فقال: يا فلان ألم آمرك؟ قال: أما من قبلي والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت، قال: فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه. وإذا الرجل معه في البيت فعرفه، فقال: أعدوَّ الله؟ قال: نعم، أعييتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك، فسماه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى. والله أعلم[1].

٥٤- **﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥]**:

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت منه قلوبهم **﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾** أي: من المصائب. **﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾** أي: المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه **﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** أي: وينفقون ما آتاهم

(١) من تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦٣-٣٦٤).

الله من طيب الرزق على أهليهم وأرقائهم وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله(١).

٥٥- ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]:

وقوله: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: إني أيها المشركون بالله المخلّدون في النار، جَزَيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريّاً من أهل الإيمان بي، وكنتم منهم تضحكون. اليومَ بما صَبَرُوا على ما كانوا يلقَون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا. ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٢).

٥٦- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]:

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض، لنعلم من يطيع ممن يعصي، ولهذا

(١) من تفسير ابن كثير (٥/ ٤٢٢).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٨١).

قال: ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ أي بمن يستحق أن يوحي إليه، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ وفي صحيح مسلم عن عياض بن عماد عن رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى: «إني مبتليك ومبتلٍ بك»». وفي الصحيح أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً[1].

٥٧- ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢]:

يعنون أنه كاد يثنيهم عن عبادة الأصنام لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا عليها. قال الله تعالى متوعداً لهم ومتهدداً ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ...﴾ [الفرقان: ٤٢] الآية[2].

٥٨- ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ [الفرقان: ٧٥]:

---

(١) من تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٠-١٠١).

(٢) من تفسير ابن كثير (٦/ ١١٣).

لـمـــا ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة، والأقـــوال والأفعال الجليلة، قال بعد ذلك كله ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أي المتصفـــون بهذه ﴿يُجْزَوْنَ﴾ يوم القيامة ﴿الْغُرْفَةَ﴾ وهي جنة، قال أبو جعفر الباقر وسعيد ابن جبير والضحاك والسدي: (سميت بذلك لارتفاعها)، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي على القيام بذلك ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ أي يبتدرون فيها بالتحية والإكرام، ويلقون التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار[1].

٥٩- ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤]:

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي هـــؤلاء المتصفون بهذه الصفـــة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم الثانـــي، ولهذا قال: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي على اتباع الحق، فإن تجشـــم مثل هذا شـــديد على النفوس، وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة

(١) من تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٣).

عن أبي موسى الأشـــعري - رضي الله عنه - قال: قال رســـول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتـــون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي، وعبد مملوك أدى حق اللـــه وحق مواليه، ورجل كانت له أمة، فأدبها فأحســـن تأديبها، ثم أعتقها فتزوجها»[1].

٦٠- ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ** ﴾ [**القصص: ٨٠**]:

﴿ **وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْـرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا** ﴾ أي جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون. كما في الحديث الصحيح «يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [**الســجدة: ١٧**]. وقوله: ﴿ **وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ** ﴾ قال السدي: ولا يلقى الجنة إلا الصابرون، كأنه جعـــل ذلك من تمام الكلام الذين أوتوا العلم. قال ابن جرير: ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون في الدار الآخرة[2].

---

(١) من تفسير ابن كثير (٦/ ٢٤٤).

(٢) من تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٥).

٦١- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩]:

﴿الَّذِيـنَ صَبَرُوا﴾ أي على دينهـم. وهاجروا إلى الله ونابـذوا الأعداء، وفارقوا الأهـل والأقرباء ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده وتصديق موعده. وقد حدث رسـول اللـه ﷺ: (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وتابع الصلاة والصيام، وقام بالليل والناس نيام) ﴿وَعَلَى رَبِّهِـمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم[1].

٦٢- ﴿فَاصْبِـرْ إِنَّ وَعْـدَ اللَّـهِ حَـقٌّ وَلا يَسْـتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]:

أي: اصبـر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلا يَسْـتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُـونَ﴾ أي بل اثبت على مـا بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه وليس فيما سـواه هدى

---

(١) من تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٢).

يتبـــع، بل الحق كله منحصر فيه. قال ســـعيد عن قتادة: نـــادى رجل من الخوارج علياً - رضي الله عنه - وهو في صلاة الغداة، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْـكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] فأنصت له علي حتى فهم ما قال، فأجابه وهو في الصلاة ﴿فَاصْبِـرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْـتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[١].

٦٣- ﴿يَـا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْـرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]:

قال لقمـــان الحكيم في وصاياه للناس: ﴿يَـا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ أي بحدودها وفروضها وأوقاتها ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي: بحسب طاقتك وجهدك ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَـكَ﴾ علم أن الآمر بالمعروف والنـاهي عن المنكر لا بدَّ أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر. وقوله ﴿إِنَّ ذَلِـكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُـورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور[٢].

(١) من تفسير ابن كثير (٦/ ٣٢٨).
(٢) من تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٠).

٦٤- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١]:

يخبـــر تعالى أنه هو الذي ســـخر البحر لتجري فيه الفلـــك بأمره، أي بلطفه وتســـخيره، فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها الســـفن لما جرت، ولهذا قال: ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِـهِ﴾ أي من قدرته، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: صبار في الضراء شكور في الرخاء[1].

٦٥- ﴿وَجَعَلْنَـا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَـمَّا صَبَـرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]:

أي لما كانوا صابرين على أوامر الله، وترك زواجره، وتصديق رســـله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمـــة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعـــروف وينهون عن المنكـــر، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا، ســـلبوا ذلك المقـــام، وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عملاً صالحاً ولا اعتقـــاداً صحيحاً، ولهذا قوله تعالـــى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

(١) من تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥١).

بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ [الجاثية: ١٦] قال قتادة وسفيان: لما صبروا عن الدنيا[1].

٦٦- ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ والْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]:

عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ الآية[2]. يقول تعالى ذكره: إن المتذلّلين لله بالطاعة والمتذلّلات، والمصدّقين والمصدّقات رسول الله ﷺ فيما أتاهم به من عند الله، والقانتين والقانتات لله، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم، والصادقين لله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه، والصابرين لله في البأساء والضرّاء على الثبات على دينه، وحين

(١) من تفسير ابن كثير (٦/ ٣٧١).
(٢) من تفسير ابن كثير.

البأس والصابرات، والخاشعة قلوبهم لله وجَلاً منه ومن عقابه والخاشعات، والمتصدّقين والمتصدقات، وهم المؤدّون حقوق الله من أموالهم والمؤدّيات، والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات، الحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، والحافظات ذلك إلا على أزواجهنّ إن كنّ حرائر، أو مَنْ ملكهنّ إن كنّ إماء، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات، كذلك أعدّ الله لهم مغفرة لذنوبهم، وأجراً عظيماً: يعني ثواباً في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيماً، وذلك الجنة(١).

٦٧- **﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** [**سبأ**: ١٩]:

وقوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** أي إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والأثام؛ لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور

(١) من تفسير الطبري(٢٠/ ٢٦٨).

على النعـم. وفـي الصحـيحين مـن حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سـراء شكر فكان خيـراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»[1].

٦٨- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه ويفعل ما يفعله أبوه من السعي والعمل. ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ عن ابـن عباس - رضي الله عنهما - قال، قال رسـول الله ﷺ: «رؤيـا الأنبياء في المنام وحي». ﴿قَالَ يَـا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَـرُ﴾ أي أمض لما أمرك الله من ذبحي. ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد[2].

---

(١) من تفسير ابن كثير (٦/ ٥١٢).

(٢) من تفسير ابن كثير (٤/ ١٦).

٦٩- ﴿وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]:

قوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ "الملأ" الأشراف، والانطلاق الذهاب بسرعة؛ أي انطلق هؤلاء الكافرون من عند الرسول ﷺ يقول بعضهم لبعض: ﴿أَنِ امْشُوا﴾ أي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه. ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ وقيل: هو إشارة إلى مشيهم إلى أبي طالب في مرضه كما سبق. وفي رواية محمد ابن إسحاق أنهم أبو جهل بن هشام، وشيبة وعتبة أبناء ربيعة بن عبد شمس، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، وأبو معيط؛ وجاؤوا إلى أبي طالب فقالوا: أنت سيدنا وأنصفنا في أنفسنا، فاكفنا أمر ابن أخيك وسفهاء معه، فقد تركوا آلهتنا وطعنوا في ديننا؛ فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال له: إن قومك يدعونك إلى السواء والنصفة. فقال النبي ﷺ: (إنما أدعوهم إلى كلمة واحدة) فقال أبو جهل: وعشراً. قال: (تقولون لا إله إلا الله) فقاموا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥] الآيات. ﴿أَنِ امْشُوا﴾وقيل: المعنى انطلق الأشراف منهم

فقالوا للعوام: ﴿امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ أي على عبادة آلهتكـــم. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي هذا الـــذي جاء به محمد عليه الســـلام ﴿لَشَـيْءٌ يُـرَادُ﴾ أي يراد بأهل الأرض من زوال نعم قوم وغِيَر تنزل بهم. وقيل: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ كلمة تحذيـــر؛ أي إنما يريد محمد بما يقول الانقياد له ليعلو علينـــا، ونكون له أتباعاً فيتحكم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعـــوه. وقـــال مقاتل: إن عمر لما أســـلم وقوي به الإسلام شق ذلك على قريش فقالوا: إن إسلام عمر في قوة الإسلام لشيء يراد[1].

٧٠- ﴿اصْبِــرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَــا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]:

يذكر تعالـــى عن عبده ورســـوله داود عليه الصلاة والســـلام أنه كان ذا أيد والأيد القوة في العلم والعمل. قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وابن زيد: الأيد القوة، وقال مجاهد: الأيد القوة في الطاعة. وقال قتادة أعطي داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقهاً في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان

(١) من تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٤).

يقــوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهــر، وهذا ثابت في الصحيحين عن رســول الله ﷺ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله تعالى صــلاة داود، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينــام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدســه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى وأنــه كان أواباً» وهو الرجاع إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤونه[1].

٧١- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ أي على البلاء. ﴿نِّعْمَ الْعَبْـدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي تــواب رجاع مطيع. وفي حديث ابن شــهاب عن النبي ﷺ: (إن أيوب خرج لما كان يخرج إليه مــن حاجته فأوحى الله إليه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَـلٌ بَارِدٌ وَشَــرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] فاغتسل فأعاد الله لحمه وشعره وبشره على أحســن ما كان ثم شرب فأذهب الله كل ما كان في جوفه من ألم أو ضعف وأنزل الله عليه ثوبين من السماء أبيضين فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أقبل

(١) من تفسير ابن كثير (٧/ ٥٧).

يمشي إلى منزله وراث على امرأته فأقبلت حتى لقيته وهي لا تعرفه فسلمت عليه وقالت: أي يرحمك الله هل رأيت هذا الرجل المبتلى؟ قال: من هو؟ قالت: نبي الله أيوب، أما والله ما رأيت أحداً قط أشبه به منك إذ كان صحيحاً. قال فإني أيوب وأخذ ضغثاً فضربها به). راث بمعنى أبطأ[1].

٧٢- ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠]:

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ**﴾ أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم، وقوله: ﴿**وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ**﴾ قال مجاهد: فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفاً، وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب

(١) من تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٦).

عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك، وقال السدي: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني في الجنة[1].

٧٣- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]:

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا أيها الرسول، كما صبر من قبلك، من المرسلين أولي العزم. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: ليس مشكوكاً فيه أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر. وإنما هو الحق المحض، والهدف الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون، ويجتهد في التمسك به، أهل البصائر. فقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله، والكف عمَّا يكره الله. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك. فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار، الذي فيه يدفع المحذور. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ خصوصاً ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ اللذين هما أفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما لأن في ذلك عوناً على جميع الأمور[2].

(١) من تفسير ابن كثير (٧/ ٨٩).
(٢) من تفسير السعدي (١/ ٣٩).

٧٤- ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [غافر: ٧٧]:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك، وعلى تكذيبهم إياك، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم، والعلو عليهم، وإحلال العقاب بهم، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذّبه، ﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحلّ بهم أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل أن يحلّ ذلك بهم، ﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ يقول: فإلينا مصيرك ومصيرهم، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحقّ بتخليدهم في النار، وأكرمناك بجوارنا في جنات النعيم[1].

٧٥- ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت: ٢٤]:

وقوله تعالى: ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ أي سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا

---

(١) من تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٣).

هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها، وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارهم فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات[1].

٧٦- ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [**فصلت : ٣٥**]:

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم[2].

٧٧- ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [**الشورى : ٣٣**]:

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ ﴾ أي التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تحرك السفن بل تبقى راكدة لا تجيء ولا تذهب؛ بل واقفة على ظهره أي على وجه الماء. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة

(١) من تفسير ابن كثير (٧/ ١٧٣).
(٢) من تفسير ابن كثير (٧/ ١٨١).

طاعة، أو ردع داع إلى معصية، أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط، ﴿شَكُورٍ﴾. في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته. فهذا الذي ينتفع بآيات الله. وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له عند نعم الله؛ فإنه معرض أو معاند، لا ينتفع بالآيات)[1].

٧٨- ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]:

(من تفسير السعدي) ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على ما يناله من أذى الخلق ﴿وَغَفَرَ﴾ لهم، بأن سمح لهم عما صدر منهم. ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: الأمور التي حث الله عليها وأكدها وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر. فإن ترك الانتصار للنفس، بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها. والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق. ولكنه يسير على من يسره الله عليه وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على

(١) من تفسير السعدي (١/ ٥٩).

ذلك. ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه(١).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن رجلاً شتم أبا بكر - رضي الله عنه - والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبـــي وقام، فلحقه أبو بكر - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعـــض قوله غضبت وقمت، قال: «إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشـــيطان فلم أكن لأقعد مع الشـــيطان ـ ثم قال: يا أبا بكر: ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها الله، إلا أعزه الله تعالى بها ونصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة، إلا زاده الله عز وجل بها قلة(٢).

٧٩- **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُـــلِ وَلا تَسْـــتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [الأحقاف: ٣٥]:

---

(١) من تفسير السعدي (١/ ٦٠).

(٢) من تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٤).

ذكر مقاتل: أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم أحد، فأمره الله عز وجل أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم من الرسل، تسهيلاً عليه وتثبيتاً له. والله أعلم[1].

٨٠- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]:

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أيها المؤمنون بالقتل، وجهاد أعداء الله ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم، وأهل الصبر على قتال أعدائه، فيظهر ذلك لهم، ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشكّ والحَيرة فيه وأهل الإيمان من أهل النفاق ونبلو أخباركم، فنعرف الصادق منكم من الكاذب[2].

٨١- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٥]:

---

(١) من تفسير القرطبي (١٦/ ٢٢١).

(٢) من تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٢).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي لو انتظروا خروجك ولم يعجلوا بالمناداة لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم؛ لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع رسول الله ﷺ، ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والتجليل. وقيل إنهم جاؤوا شفعاء في أسارى، فأعتق رسول الله ﷺ نصفهم وفادى نصفهم، ولو صبروا لأعتق الجميع، ذكر معناه مقاتل ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كثير المغفرة والرحمة بليغهما لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من إساءة الأدب.

٨٢- ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩][١]:

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أمره بالصبر على ما يقوله المشركون؛ أي: هوِّن أمرهم عليك. ونزلت قبل الأمر بالقتال فهي منسوخة. وقيل: هو ثابت للنبي ﷺ وأمته. وقيل معناه: فاصبر على ما يقوله اليهود من قولهم: إن الله استراح يوم السبت. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ قيل: إنه أراد به

(١) من تفسير فتح القدير (٥/ ٨٥).

الصلوات الخمس. قال أبو صالح: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح، وقبل الغروب صلاة العصر. ورواه جرير بن عبدالله مرفوعاً؛ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: (أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - يعني العصر والفجر ثم قرأ جرير - ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ [**طه**: ١٣٠] متفق عليه واللفظ لمسلم. وقال ابن عباس: ﴿**وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾ الظهر والعصر[1].

٨٣- ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]:

﴿**اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا**﴾ أي إذا لم يمكنكم إنكارها وتحققتم أن ذلك ليس بسحر ولم يكن في أبصاركم خلل، فالآن ادخلوها وقاسوا شدتها فاصبروا على العذاب أو لا تصبروا وافعلوا ما شئتم، فالأمران ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ**﴾ في عدم النفع، قيل أيضاً تقول لهم الملائكة هذا القول،

---

(١) من تفسير القرطبي (١٧/ ٢٤).

وســـواء خبر مبتدأ محذوف: أي الأمران سواء، ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أي ســـواء عليكم الصبر وعدمه، وجملة ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تعليل للتسوية، فإن الجزاء بالعمل إذا كان واقعاً حتماً كان الصبر وعدمه سواء[1].

٨٤- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]:

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ قيل: لقضاء ربك فيما حملك من رســـالته. وقيـــل: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك؛ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ قيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ اختلف في تأويل قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رســـول الله ﷺ: (من جلـــس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أســـتغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلســـه ذلك) قال: حديث حســـن صحيح غريب. وفيه عن ابن

(١) من تفسير فتح القدير(٥/ ١٣٦).

عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة من قبل أن يقوم: (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور) قال حديث حسن صحيح غريب. وحديث عبادة عن النبي ﷺ: (من تعار في الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته) أخرجه البخاري. عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات ولأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك) متفق عليه. وعن ابن عباس أيضاً أنه

عليه الصلاة والســلام كان إذا استيقظ من الليل مسح النوم من وجهه؛ ثم قرأ العشر الآيات الأواخر من سورة "آل عمران". وقال الضحاك: إنه التســبيح في الصلاة إذا قام إليها. قال الماوردي: وفي هذا التســبيح قولان: أحدهمــا: وهو قوله ســبحان ربي العظيــم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود. الثاني: أنه التوجه في الصلاة يقول: ســبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جــدك ولا إله غيرك. قال: ابن العربي: من قال إنه التسبيح للصلاة فهذا أفضله. وفي البخاري عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه قال: قلت يا رســول اللــه علمني دعاء أدعو به في صلاتي؛ فقال: (قل اللهم إني ظلمت نفســي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عنــدك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)[1].

٨٥- ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ [القمر: ٢٧]:

قولــه تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِــلُوا النَّاقَــةِ﴾ أي مخرجوها من الهضبة التي ســألوها، فــروي أن صالحاً صلى ركعتين

(١) من تفسير القرطبي(١٧/ ٧٨).

ودعا فانصدعت الصخرة التي عينوها عن سنامها، فخرجت ناقة عشراء وبراء. ﴿**فِتْنَةً لَّهُمْ**﴾ أي: اختباراً. ﴿**فَارْتَقِبْهُمْ**﴾ أي: انتظر ما يصنعون. ﴿**وَاصْطَبِرْ**﴾ أي: اصبر على أذاهم[1].

٨٦- ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**﴾ [**القلم**: ٤٨]: يقول تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ**﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم، فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ﴿**وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**﴾ يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات ﴿**أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [**الأنبياء**: ٨٧] قال الله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [**الأنبياء**: ٨٨] وقال تعالى: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ**

---

(١) من تفسير القرطبي (١٧/ ١٤٠).

الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] وقال ههنا: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] وهو مغموم مكروب، وفي الحديث أنه لما قال: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ خرجت الكلمة تحفّ حول العرش فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا يونس، قالوا: يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة؟ قال: نعم، قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠]. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» ورواه البخاري في الصحيحين[1].

٨٧- ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]:

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي على أذى قومك. والصبر الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير

---

(١) من تفسير ابن كثير (٨/ ٢٠١).

الله. وقيل: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو[1].

٨٨- ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]:

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب معه[2].

٨٩- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]:

أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى. فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، وبادر فيه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات، جميع المطالب الإلهية. وعظم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء. وهجر كل ما يعبد من دون الله، وما يعبد معه من الأصنام وأهلها، والشر وأهله. وله المنة على الناس - بعد منة الله - من غير أن يطلب عليهم بذلك جزاء ولا شكوراً. وصبر لربه أكمل صبر،

---

(١) من تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨٤).

(٢) من تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٦).

فصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وصبر على أقداره المؤلمة، حتى فاق أولي العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين(١).

٩٠- ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]:

قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ على الفقر. وقال القرظي: على الصوم. وقال عطاء: على الجوع ثلاثة أيام وهي أيام النذر. وقيل: بصبرهم على طاعة الله، وصبرهم على معصية الله ومحارمه. وروى ابن عمر أن رسول الله ﷺ سئل عن الصبر فقال: (الصبر أربعة: أولها الصبر عند الصدمة الأولى، والصبر على أداء الفرائض، والصبر على اجتناب محارم الله، والصبر على المصائب). ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير(٢).

٩١- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]:

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي لقضاء ربك. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: اصبر على أذى المشركين؛ هكذا قضيت. ثم نسخ بآية القتال. وقيل: أي اصبر لما حكم

(١) من تفسير السعدي (١/ ٨٩٥).
(٢) من تفسير القرطبي (١٩/ ١٣٦).

به عليك من الطاعـــات، أو انتظر حكم الله إذ وعدك أنه ينصرك عليهم، ولا تستعجل فإنه كائن لا محالة. ﴿**وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾ أي ذا إثم ﴿**أَوْ كَفُورًا**﴾ أي لا تطع الكفار. فروى معمر عن قتادة قال: قال أبو جهل: إن رأيت محمداً يصلي لأطأن على عنقه. فأنـــزل الله عز وجل: ﴿**وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾. ويقال: نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة، وكانا أتيا رسول الله ﷺ يعرضان عليه الأموال والتزويج، على أن يترك ذكر النبـــوة، ففيهما نزلت: ﴿**وَلا تُطِـعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُـورًا**﴾. قال مقاتل: الذي عرض التزويج عتبة بن ربيعة؛ قال: إن بناتي من أجمل نساء قريش، فأنا أزوجـــك ابنتي من غير مهر وارجع عـــن هذا الأمر. وقال الوليد: إن كنت صنعت ما صنعت لأجل المال، فأنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر؛ فنزلت[1].

٩٢- ﴿**ثُـمَّ كَانَ مِنَ الَّذِيـنَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْـرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾ [**البلد**: ١٧]:

وقوله تعالى ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْـرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾ أي كان من المؤمنـــين العاملين صالحـــاً المتواصين بالصبر

---

(١) من تفسير القرطبي (١٩/ ١٤٩).

على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الشريف (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) وفي الحديث الآخر (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)[1].

(الصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضاً، على الانقياد لذلك، والإتيان به، كاملاً منشرحاً به الصدر، مطمئنة به النفس)[2].

٩٣- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]:

أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح. والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا، والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه، دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه، لا يتم

---

(١) من تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٩).

(٢) من تفسير السعدي (٩٢٤).

إلا به. والعمل الصالح، وهذا شـــامل لأفعال الخير كلها الظاهرة والباطنـــة، المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة. والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيـــه. والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعـــن معصية الله، وعلى أقدار اللـــه المؤلمة. فبالأمرين الأولين يكمل العبد نفســـه، وبالأمرين الأخيرين، يكمل غيره. وبتكميل الأمور الأربعة، يكون العبد، قد ســـلم من الخســـار، وفاز بالربح العظيم[1]. قال ابن قيم الجوزية في كتابه (عدة الصابرين وذخيرة الشـــاكرين): إن الدين مبنـــي على أصلين: الحق والصبـــر. وهما مذكوران في قوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَـقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [**العصر**: ٣] ولمـــا كان المطلوب من العبد هو العمل بالحق في نفســـه وتنفيذه في الناس وكان هذا هو حقيقة الشكر لم يمكنه ذلـــك إلا بالصبر عليه. فكان الصبر نصف الإيمان والله سبحانه وتعالى أعلم.

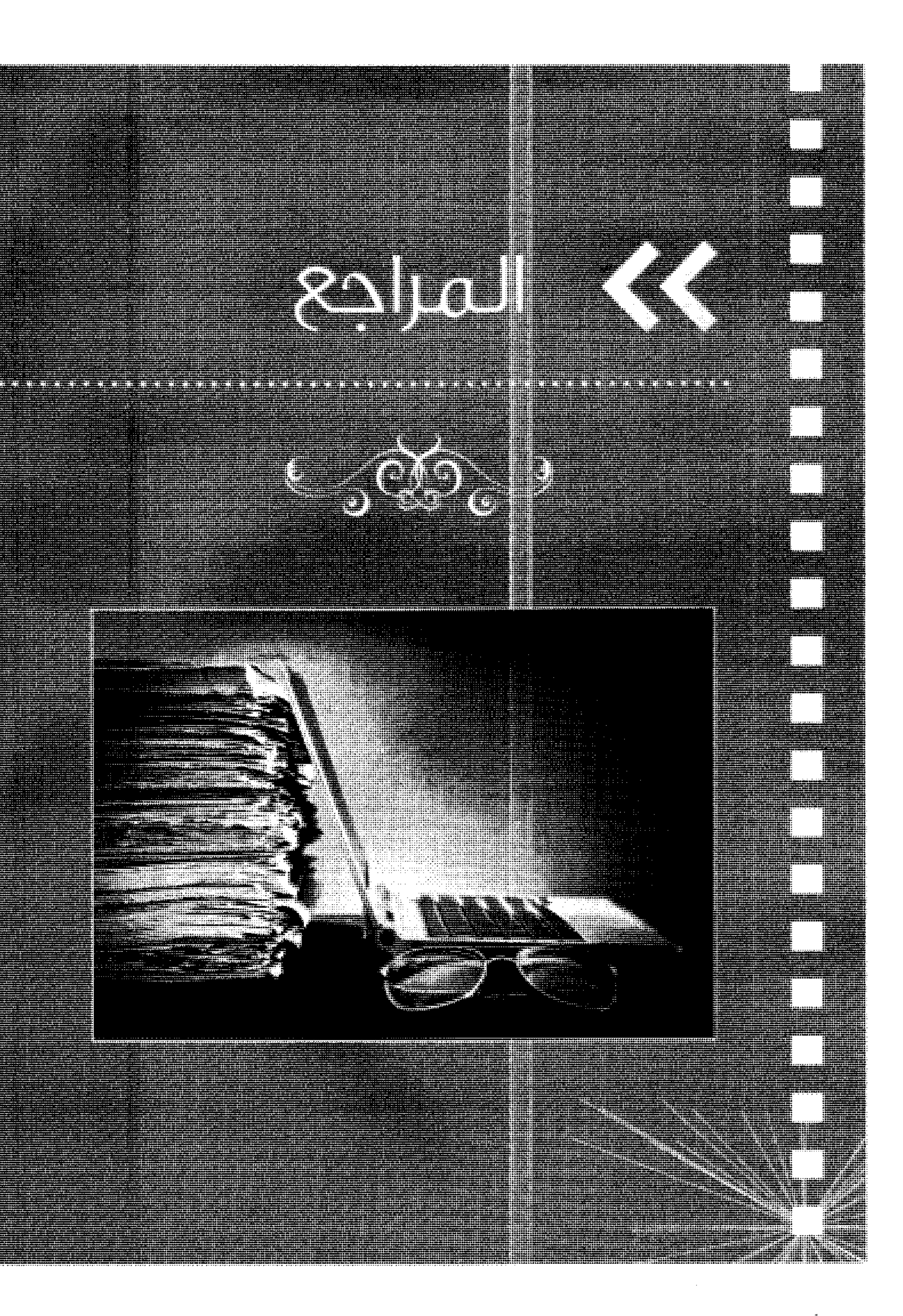


(١) من تفسير السعدي (١/ ٩٤٣).


الخات

أحبتي:

نستخلص مما سبق أن الصبر ينال بترويض النفس ومجاهدتها، فمن أراد الوصول إلى الجنان تعايش مع الصبر بتحمل، فلا يشكو ولا يتسخط ولا يدفع المكروه بالمكروه، ولكن يدفع السيئة بالحسنة ويعفو ويغفر ويصبر، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالصبر ووعد الصابرين بحسن الجزاء: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥]. اللهم زدنا إيماناً وصبراً ويقيناً تهون به علينا مصائب الدنيا، واجعلنا من الشاكرين الذين يرون من النقمة نعمة، ونور قلوبنا بما يرضيك عنا، وسدد خطانا، واجعلنا من الصابرين الشاكرين الراضين يا رب العالمين، وصلى اللهم على عبدك ورسولك محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.


المراجع

كتاب (عِدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين) للإمام ابن قيم الجوزية.

كتاب (تهذيب مدارج السالكين) "٢٨" منزلة الصبر.

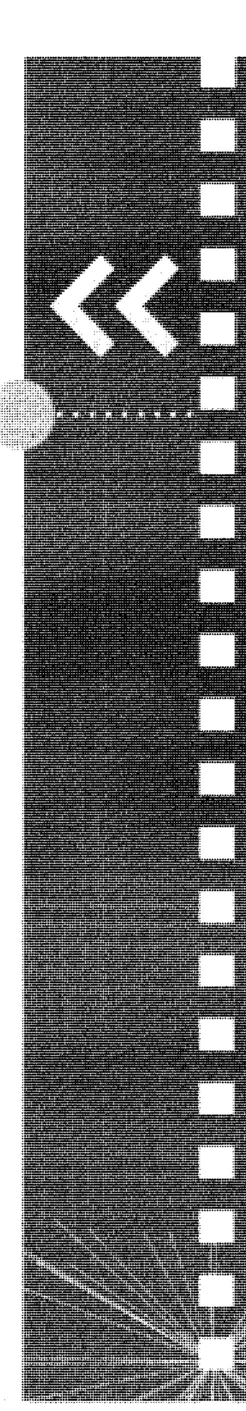
شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (القول المفيد على كتاب التوحيد).

كتاب (السيرة النبوية لابن كثير).

كتاب (السيرة النبوية لابن هشام).

كتاب (البداية والنهاية) للإمام الحافظ ابن كثير.

كتاب (جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب) لأحمد الهاشمي.



كتاب (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي.

كتاب (الأمثال) للإمام الحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام.

تفسير ابن كثير.

تفسير السعدي.

تفسير الطبري.

تفسير القرطبي.

تفسير فتح القدير.



الصَّبر جنة المؤمن

لقد خضتُ مُعترك الحياةِ فلم أجد خيراً من الصبر؛ ويكفي بالصبر أنه لا ندامة معه، بل إنّ كلَّ من تحلى به كان الخير له راصداً، والفلاح سبيلا. ومن شرب من معين الصبر أسس بنياناً قوياً لسعادة الدنيا والآخرة:

اصبر قليلاً وكن بالله معتصماً ... لا تعجَلنّ فإنّ العَجزَ بالعَجَل

الصبر مثل اسمه في كل نائبةٍ ... لكن عواقبه أحلى من العسل

ومنذ سنوات مضت كنت أجمع وأدون ما قرأته في كتاب الله الكريم من آيات ذُكر فيها الصبر في كراسة خاصة وأذكر رقمها واسم السورة حرصاً مني على عدم نسيانها. ومن محاسن الآيات أنني كلما قرأتها وكأنني أقرؤها من جديد، فأتشجع للصبر أكثر فأكثر. وبدأت الفكرة في ذهني أن أعد كتاباً ينهل القارئ منه ثمرة تجارب أُناسٍ تسلحوا بالصبر وتأكد في أعماقهم أن للصبر ثمراتٍ ننهل منها السعادة في الدنيا والآخرة.

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقلَّ من جدَّ في شيء يحاوله ... فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

المؤلفة


9 786038 101339



توزيع دار رسالة البيان
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨
فاكس: ٤٥٣٢١٢١